مينا هاني

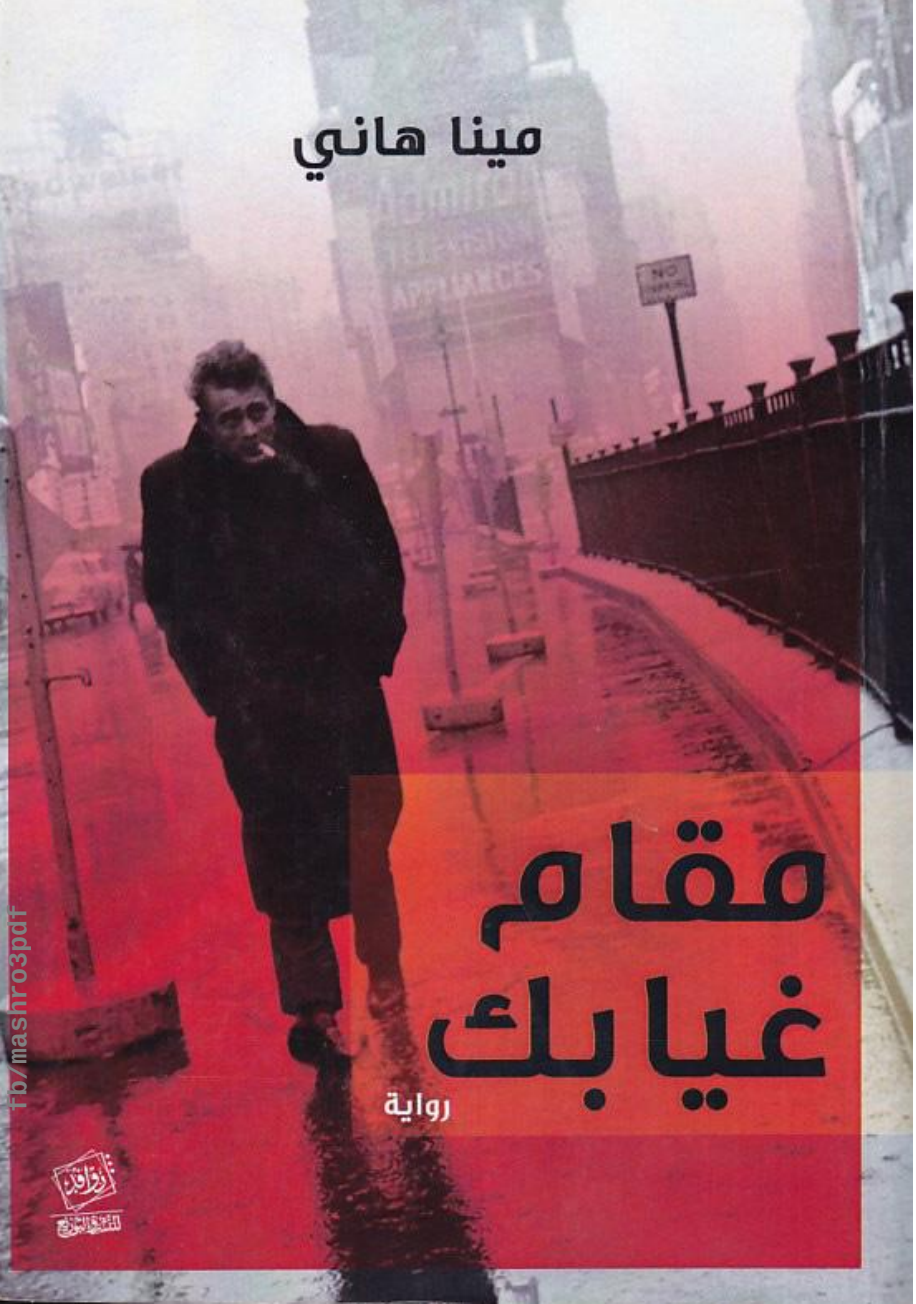

مقام غيابك

رواية

fb/mashro3pdf

مقام غيابك

رواية

مينا هاني

fb/mashro3pdf

هاني، مينا
مقام غيابك / مينا هاني
روافد للنشر والتوزيع. 2016 ط أولى، القاهرة
200 ص ؛ 21 سم
1-رواية
2-العنوان
أ – المؤلف
رقم التصنيف: 008. 813
رقم الإيداع: 2016/26647
الترقيم الدولي I.S.B.N.: 978-977- 751 -286 -2

جميع الحقوق محفوظة للناشر

روافد للنشر والتوزيع
تليفون 01222235071 2+
rwafead@gmail.com
www.rwafead.com
تصميم الغلاف: نور إسلام

fb/mashro3pdf

كتاب للسيئين.. للمنبوذين.. للمنسيين والغرباء ولمن ليس لهم أحد.. ولمن أحبوا بلا مقابل.. للحب الأخير وللحب الكثير.. للذين فشلوا في الوصول.. وللذين خافوا من السفر.. لمن أنهكتهم الرحلة.. لمن رحلوا.. للقبلة الأولى.. وللصلة المقطوعة.. وللصوت الذي تحبه.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سافرت، جريت إلى كل مدينة ولم أر أحدا بلطفك وحسنك
عدت من الهجر والغربة، ومن جديد ظفرت بهذه الحظوة
فمنذ أن ابتعدت عن حديقة محياك لم أر ورودًا ولم أقطف ثمرة
ماذا أقول؟ كنت ميتًا تمامًا من دونك
وقد خلقني الحق مرة أخرى
أيمكن أن تقول إنني رأيت وجهك؟ إنني سمعت صوتك؟
دعنى أقبل يدك وقدمك
أعط العيدية؛ لأن اليوم يوم عيدي

شمس التبريزي

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقي، مسحت بالزيت رأسي وكأسك روتني ريًّا.

مزمور 23 لداود

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أدخل اليوم في طور جديد من الإعياء الشامل. أقرب سبابتي إلى شفتاي بصعوبة، أتحسس سائلا ينزُّ من فمي. لم أخف مشهد الدماء. لقد كان الدم رفيق عملي.

بالدم نولد ونموت، بالدم نتطهر ونخلص.. الدم أحمر كوردة مذبوحة توًّا.

الدم يسرُّ في شفتاي ألا تخاف مني فأنا منك.. فلا أخاف.

الصداع ينهك خلايا مخي المنهكة أصلا.

هذه نوبة أصعب لا أحتملها فأبكي نهرا. يختلط الماء بالدم ويجري السائل الهجين على جسدي المسجَّى في زاوية مكان أعجز فعلا عن التطلُّع فيه.

سأضطر لاحقا لأن أتغاضى عن زنِّ طائر حقير من مخلفات التطور راق له حال أن يحوم حول رأسي ويستقر هنا على جسدي، خوفا من رفع كتفى الذي أشعر بأنه انخلع عني في مكانه.. أو ربما خوفا من مواجهة حقيقة أني لم أعد أستطيع تحريكه.

تقول لي موني: يوسف، هل تعتقد بأنك تمر بالسيئ؟ انتظر حتى ترى الأسوأ فهو لم يمر بك بعد. أصبحت أرتاب في أمر موني مؤخرا فهي لم تحرِّك ساكنا لإنقاذي، وجل ما تفعله هو الجلوس بجواري والتمتمة بكلام غير مفهوم.

أقول لها هل تعجبك الفرجة عليَّ وأنا أموت؟

fb/mashro3pdf

ترد: لقد كنت رفيقتك أغلب وقتك.. أنا أحبك يا صاحبي.. وأحب أن أراك. لقد كنت إلى جوارك وأنت تضحك وتبكي وأنت تضاجع الملل والفتيات الغبيات.. هل كنت تعبأ بوجودي؟ هل تؤمن؟ إلا أن ترى؟ ثم ترى ولا تؤمن.

إنه لمن الشرف أن أراك وأنت تموت يا صاحبي.

يتضح لي أكثر أن الكل قد تركني.

يسرا.. أنا الآن وحيد.

ليس هناك بعد أحد.

الوجود تركني وأهملني واكتفى بمشاهدتي وأنا أتجرَّع مرارة الألم والمجهول.

وأفوض أمري إلى العدم..

**

fb/mashro3pdf

(1)

الثالثة عصرا،

هل تريد أن نأخذ بعض الصور؟

على مقهى ما في نيويورك سيتي.. يجلس جيمس دين بشعره الأصفر الناعم وملامح وجهه الدقيقة، مرتديا قميصه الأبيض ونظارته البنية الأنيقة.

يجلس على المقهى صباح ذلك اليوم الصيفي محاولا جمع نفسه من ليلة أخرى مجنونة قضاها مع بيير أنجلي الطالبة الإيطالية التي تعرف إليها بالصدفة في أثناء زياتها لأميركا.

يحتسي القهوة بتأنٍّ.. يحاول سبر تفكير البنت.. ينفث التعب مع دخان سيجارته المارلبورو.. يبتسم بخجل لما تذكر شيئا ما حدث بينهما أمس.. خطر له أن يعرض عليها الزواج والبقاء معا إلى الأبد، عندما يعود.

ينسى العالم والبنت وألم رقبته الخفيف ويخلع نظارته ويفرك عيناه ويحك حاجبه الأيمن ثم يمسح لون الذهب على شعره، ثم يتطلع إلى الطاولة الخشبية مفكرا فيما داخلها.. هل تحوي شيئا من داخلها يصغي إلينا عندما نتحدث؟ هل تمتلك المادة نمطا معينا من الوعي بحيث يستوعبنا ولا نفهمه؟

fb/mashro3pdf

يقاطعه دينيس ستوك مصور شاب حر يعمل أحيانا لحساب مجلة LIFE واسعة الانتشار في تلك الفترة من منتصف الخمسينيات:

يحييه بهدوء: جيم لم أكن أعلم أنك تجيد التمثيل.. ماذا ستفعل بكل هذه الموهبة؟

يبتسم جيمس ويجيب: سأستمر في تجاهلها. لقد نفع ذلك حتى الآن.

- هل تريد أن نعمل معا وآخذ لك بعض الصور؟

لا يعطيه جيمس ردًّا، لكنه يعرض عليه الذهاب معه بدراجته النارية لرؤية بيير أنجلي.

**

تسألني يسرا وهي تبتسم: أنت حابب الفيلم؟

- أنا بحب جيمس دين، وتجسيد دان ديهان للشخصية جميل.. كأنه خلق نسخته الخاصة من جيمس.. بدون ما يقطع الصلة مع النسخة الأصلية.
- هو يشبهه جدًّا في الشكل.
- جيمس ما كانش بيمثل.. كان بيحس المشاهد.. ماحدش من المنتجين كان مقتنع بيه أصلا لكنه عمل نقله كبيرة لما دخل الأسلوبية للسينما.

fb/mashro3pdf

- أنا حبيته برده.. وتصمت قليلا ثم تسأل: فاكر أول مرة اتقابلنا فيها هنا في المركز الثقافي.
- كنت بطَّلَّع فيكي من أول ما شفتك ومش عارف أعمل إيه. اتجرأت وجيت أسألك على ميعاد ندوة رواية نجيب أولاد حارتنا.
- فاكر الندوة دي إحنا إزاي حاولنا إنها تتعمل بعد إلحاح على الإدارة وفي آخر لحظة اتلغت برده. وتتذكر ذلك بأسى بادٍ.
- كانوا خايفين من الكلام اللي هيتقال فيها. أرد عليها بإصرار.
- أحلى حاجة إنك خرجتني بعدها لأني فعلا كنت مضايقة من اللي حصل.
- أنا فاكر تقريبا كل كلمة قلناها في الخروجة دي. كأنها كانت امبارح مش من سنة ونص.
- الوقت بيعدي يا يوسف.

**

- هل درست السينما؟
- آه.. تلقيت بعض الدروس.
- لكنك لم تستكمل دراستك عنها..

fb/mashro3pdf

- لم تسألني إن كنت تعلم الإجابة؟ أجاب جيمس وكلاء شركة وارنر للسينما بقلة صبر ونبرة واثقة.. وصوت خفيض.
- أردنا فقط أن نتأكد.
- هل أخضع للتحقيق الآن؟ أجابهم بعيون مرهقة يكللها السواد من تحتها.

لقد درست فصلا واحدا في أكاديمية السينما، ثم بعد ذلك قررت أن أباشر التمثيل.. يشبه الأمر أن تجد أن كتابة الروايات أفضل من الكتابة عنها.. ويحرك يده مشيرا بدخان سيجارته في حركة شبه مسرحية.. أو شيئا كهذا.

ثم يتابع بثقة: أريد أن أخلق هنا شيئا جديدا.. سأذهب إلى آخر الأمر.. إلى حيث يأخذني.

يستكمل وكلاء الشركة التوجه بالأسئلة لجيمس.. عند نقطة ما لا يتمالك نفسه فيبدأ بالضحك العميق ويسقط صوت ضحكاته في الغياب تدريجيا. تأفل كأنها صدى في حين يعلو صوت دوران بكرة تسجيل المقابلة.. ذلك الصوت المتتابع العميق الذي يسيطر بخفة على المشهد.

**

fb/mashro3pdf

لا تفلت يدي.. يسرا بجانبي في السينما.. تقبض عليها جدا.. كأنها تخاف من الضياع في ظلام المكان.. تتعرق أيدينا فتستبدل يدا بيد حتى لا تتركني.

اللمسة.. عملت إيه لمستها فيك؟ جلدها الناعم بيمسح على مسامك.. بيفتحها.. بينورها.. حبها بينورك.. بتمسح العرق على يدها في هدومك.. ولبسك مشبع بعطرها كما روحك.. كان نفسي يا حبيبي ألمس أعمق ذرة في إيدك.

يدك التي تقطر حبًّا.

لا تفلت يدي إنما توازى ذراعينا معا ثم تسند برأسها إلى طرف كتفي.

ثم تبدأ بخدش ظاهر يدي بظافرها بشكل خفيف.. ثم تقرب يدي إليها.. تحركها على وجهها. وتشد إبهام يدي إلى شفتيها. تقربه ببطء لذيذ. فتقبله. وتقبله مرارا.

ثم تفتح شفتاها وتبله بريقها وتمصه ثم تحيله قلما وترسم بحبر ريقها قلبا وهميا على خدها. ثم تولجه كله في فمها وتخرجه وتولجه وهكذا.

- أنا بحب أدخل سينما معاكي.
- ها ها، عشان بعملك كدا.

fb/mashro3pdf

- يمكن.. ويمكن عشان أنا أصلا بحب السينما وبحب مسكة إيدك فيها وإني على الأقل واثق إنك هتفضلي جنبي طول وقت الفيلم ومش هتغيبي.
- أنا مش بغيب.. أنا ممكن أكون في أكتر من مكان في وقت واحد بس أنت نادي عليَّ.. وتضحك.

أتحسس عند رجلها.. أدخل يدي فيما بين فخذيها.. أشعر بإثارة عارمة.. أدخل بيدي إلى الأعمق وأنا أحتضنها بينما هي تتأوَّه بصوت خفيض: كفاية هصرخ.. تعالى نخرج بره أحسن.

الظلام يعمي أبصارنا.. نتحسس خطوات الخروج.. أخاف عليها من التعثر لكننا نخرج.

**

لدى دينيس روك فكرة ستغير من مسار التصوير الفوتغرافي. لكنه يبحث عن وجه سينمائي شاب جديد ليساعده على تحقيق حلمه. لكن جيمس - المتمرد بلا سبب - والذي يكره كثرة الأضواء المسلطة ويميل إلى العزلة والحزن، لا يقتنع بسهولة بأفكار دينيس. جيمي كان يريد أن يؤدي أفلاما جيدة وحسب. كان يطمح في صعود هادئ بعيد عن ميكنة هوليوود والمتعهدين لها. الميكنة التي تحول الناس إلى سلع استهلاكية وتحركهم كعرائس الماريونيت.

أو هل كان يعلم ماذا يريد فعلا؟

fb/mashro3pdf

يحاول دينيس إقناع جيمي بأفكاره عن التصوير.. الأفكار التي كان يعتقد أنها ستحدث ثورة ما وستغير وجه الصورة.

يقبل جيمي أخيرا.

**

يستند جيمس إلى واجهة أحد المحال المشهورة في ميدان تايمز سكوير في نيويورك سيتي. ينتظر قدوم دينيس حسب الاتفاق. يتأمل في وجوه المارة الذين يمرون أمامه على عجل. يتطلع إلى طفل تحمله أمه على صدرها. يغمز له بعينه بطريقة كارتونية حتى يضحك لكنه لا يفعل ذلك، وعوضا عن ذلك يشير الطفل بإصبعه الصغير إلى جيمس كأنه يحدده بين الناس. كان جيمس يرتدي بالطو مطر أسود طويل إلى ما تحت ركبتيه. يخفيه تماما عن الأنظار ويقيه من صباح مشبع بأجواء البرد وحبات المطر.

يغيب جيمس في النسج.. يتوحَّد معه.. يغشاه ولا يقربه في آن.

يحاول التدثُّر أكثر بملابسه.. يضم على نفسه من البرد.. يداعب المطر أرنبة أنفه.. يبلل لسانه من المياه ثم يبصقها مجمعة على الرصيف.. يحاول تدفئة أنفاسه بدخان سيجارته المفضلة.

fb/mashro3pdf

ثم يسترجع لحظاته مع بيير أنجلي.. البنت التي أحبها ثم عرف فجأة وهو في تجمع صحفى للدعاية لفيلمه الأول - شرق عدن - أنها تركته ورافقت أحد نجوم السينما الكبار كطريق مختصر للوصول. تركته بالصدفة كما التقيا تماما.. دون مقدمة.. دون سلام.

تتجلى أفكار دينيس روك في محاولة إحياء الصورة الفوتوغرافية.. إحياؤها بشكل ثوري بعيدا عن التنميط أو عن السائد في ذلك الوقت. إحياؤها عن طريق بعثها ومدها بالروح.

تلك الروح الجديدة التي كانت تسري في الغرب آنذاك. روح غضب الشباب وتمردهم على جيل الآباء الذي أوشك أن يفني العالم في الحرب العالمية الثانية. ثم ما لبث وأن أدخل البلاد في غمار الحرب الكورية.

كان الدين - اختيار الآباء والسلطة السياسية المتحالفة مع المال والسلاح - ينسحب ببطء لحساب الأفكار والفلسفات الوجودية والإنسانية.. التي رأى الشباب أنها أكثر رجاحة واحتمالا.. وأنها تعبر عنهم تماما.

رأى دينيس في جيمي هذه الروح. ثم حاول تجسيدها بالتصوير.

fb/mashro3pdf

طلب من جيمي أن يتمشَّى في الميدان.. يدور حول تجمعات المطر والوحل التي تحاول أن تتوسَّع وتنفتح على بعضها. حتى يطلع الرصيف ويوازي سورًا حديديًّا ومن خلفه يتلاشى الميدان ويسقط من السير.

**

مجرد تمشية بلا معنى لمثل شاب نصف مشهور يرتدي معطفا طويلا واقيا من المطر وفي فمه تسكن سيجارة خفيفة باتت تصنَّف كواحدة من أكثر الصور الأيقونية للمدينة على مرِّ العصور.

بعض الصور التي أخذها دينيس لجيمي تظهره وهو غير منتبه.. قبل أن يتم ابتذال ذلك بشكل واسع باستخدام كاميرات الهواتف الحديثة.

لكنه ليس عدم انتباه من أجل التصوير، بل من أجل تخليد اللحظة ومحاولة فكها.

وأنت تطالع الصور ستشعر بكمِّ جمالها وبالكثير من الشفقة على جلسات التصوير الحالية. التي تدهورت بالفكرة إلى اصطناع المواقف وتعليب الوجوه. كان من المفترض أن نلتقط صورًا لتخليد اللحظة وليس لتمرين عضلات الفكين على فشخ الضب من الابتسام المشوَّه كل 5 ثوان.

fb/mashro3pdf

صوَّر دينيس أرشيفا خالدا من حياة جيمس. حوَّل الحياة العادية إلى لحظات جليلة.

استجلى من بين الحزن متعة. ومن الملل إثارة. ومن الرتابة حياة.

مرَّ جيمي من فجوة زمنية متقدمة إلى الخمسينيات.. مكث بيننا وقتا قصيرا.

جاء من مستقبل ما ربما لن نمر به أبدًا.. نسج خاص بعالم جيمس الغريب.

عالم تبدو فيه الصورةجميلة وهادئة حد الصراخ.

**

يوسف.. تأخرت عليك؟

عندما ذهبت هي لترى المكان.. بقيت وحدي في الرواق لتدخين سيجارة لعل قلقي يخفت.. لعل الصداع الذي بدأ بالطرق على نصف رأسي يهدأ.

لعلني أستطيع معادلة الموقف في مخي بعيدا عن مسار الجبرية.. هل اخترت هذه السطور من صفحة النسج؟ ربما اخترت عندما أحببت السينما معها.. أحببت ما نفعله معا في

fb/mashro3pdf

لحظات مللنا من الفيلم. ولمسة يدها.. أد إيه حبّيت أن يستمر فيلمي معاها عشان يمكن بس مسكة إيدها.

عندما عرفت يسرا أول مرة تخيلتها على السرير. ماذا يمكن أن يحدث بيننا؟ كيف سيتغير صوتها؟ ما يثيرها؟ ما يمكن أن يقال في شفتيها.. داخلها.. وجعها؟ فكرت كيف يمكن أن أطلق نارها.. دون أن تحرقني؟!

فكرت أن ذلك سيكون ممتعا معها.. وأنني سأحكم في النهاية مآل الأمور.

ربما أخطأت..

- إيه اللي جابك تاني؟ اتفقنا إنك لما تدخلي تتصلي بيَّا وأنا أحصَّلك..
- أنت خايف يا حلو؟ وتضحك بتحدٍّ وسخرية.
- مش مسألة خايف.. بس ده اللي إحنا اتفقنا عليه.
- مش هتعرف السكة.. جيت أوصَّلك. وتهمس بدلع: ما تخافش.. الدنيا أمان.
- حابَّة فعلًا نعمل كدا؟
- أنت حابب؟!

يسرا.. أنا كنت خايف فعلا. عليك.

بشكل ما فرغ كل ما مررنا به من طرقات.. كأن المركز كله قد تحول لبيت من الأشباح.. هل ذهب كل الموجودين لحضور

fb/mashro3pdf

عرض الفيلم؟ هل ابتلعهم ثقب أسود؟ أو حوت أزرق؟ كان يراودني ذلك السؤال كثيرًا.

لن أعلم أبدا أين ذهب الجميع وقتها.

ندخل إلى إحدى حجرات المركز الخاوية ونغلق الباب بإحكام.. ليس المكان نظيفا جدًّا لكن يمكن احتماله. أقبل عليها كالمجنون.. كالمنقطع عن الهواء إذا تنفس: وحشتيني.. وحشتيني فشخ.. آخر مرة أشوفك فيها كانت من شهر لكني لا أتمنى أنك تختبري إزاي مرّ عليَّ الوقت ده. وحشتيني.. عارفة.. أنا عاوز أكلك.

يوسف.. ولا تستكمل ما تقول.

أسندها على الحائط.. تفك أزار البلوز العلوية ولا تخلع حمالة صدرها لكنها تخرجه إليَّ.. تبدو لي كإلهة جمال إغريقية.. كانت عيناها جميلة وواسعة ومتكحلة بالأسود الذي أضفى عليها حزنا غير مفهوم.. لا أعلم الذي حدث في فترة غيابها.. لا أعلم أين كانت أو ماذا فعلت.. لكن ذلك أصبح غائرا جدًّا في عينيها.. حلاوة عينيها بطعم الوجع والحنين.

تخلع أول بنطلونها الجينز الأزرق.. أدخلها.. تكرارا.. بعنف.. بشكل أعمق.

fb/mashro3pdf

وحشتيني عاد فاتحمّلي.. أقول لها بعصبية.

أنفاسنا تزداد حرارة.. صوتها يزداد رقة.. صوتي يزيد خشونة.

.. كل مرة تغيب وتعود فأحتضنك بعمق حتى لا تعود تغيب.. تبيَّن لي أنني كنت أعاقب نفسي فيها.. كانت كل خشونة في الولوج تهتك أول ما تهتك أعصابي ولا يزيدها وجعها في الشبق إلا متعة وقوة.

- .. تيجي نتصور؟
- هنا؟
- ما له هنا؟ ما أنت نمت معايا هنا! ترد بنبرة استغراب
- ماشي، نتصور.

**

fb/mashro3pdf

(2)

قبل ستة شهور..

مساء الخير.. يوسف لقد جاوزت الظهر وأنت نائم.

- يوسف: من أنت؟

- موني: متى تفيق من الخمرة؟

- يوسف: من أنت؟

- موني: لو قلت لك.. هل ستفهم؟ لا تخف جئت لرفقتك.. فلا تخف مني فأنا معك لكن يمكن مع ذلك أن تناديني موني لو أحببت.

- يوسف: أين أنا؟

- موني: يوسف أنت تعلم.. ما الأماكن عندك إلا يسرا. وكل ما عداها سيان.

- يوسف: كيف تعلمين بأمرها؟ من أنت؟ أجيبيني؟ ولم لا أستطيع أن أتبين ملامحك تماما؟ هل أنا ميت؟ (وتطلع إلى الفراغ بخوف بادٍ في عينيه).

- موني: أنت سكران، لكن لو مت كيف ستعرف أنك مت حقًّا؟ لو عرف الموتى أنهم موتى أفلا يجعلهم ذلك أحياء؟ أليس الوعي بالحقائق هو ما يجعلنا أحياء؟

fb/mashro3pdf

- يوسف: لا يمكن الخلط بين الأمور بهذه السهولة.

- موني: ما أنت إلا وعيك.

- يوسف: عندي هاجس.. أخاف إن متُّ وتهت في غربة أشد مما كنت أشعر بعدها.. أخاف من حزن أمي عليَّ أو أن تبقى روحي عالقة إلى الأبد بلا هادٍ.

- موني: ... صمت

- يوسف: ختمت يسرا على قلبي.. أليس كل ما بعدها بطعم الموت؟ (ويخفض رأسه ويضم ركبتيه بيديه كأنه يحتضن روحه).

- موني: كأنك جرَّبت طعم الموت!

- يوسف: جربت! لا تسأليني عن التجريب! (بسخرية)

- موني: لست إلا صاحبتك.

- يوسف: شكرا.. لا أريد شفقة من أحد.

- موني: يوسف.. لا عليك. لو تعلم أن كل الأمور غارقة في العبثية وانعدام الجدوى لقبلت الحزن جزءًا من الصفقة وأنت راضٍ.

- يوسف: إن للصفقة شروطًا معلومة.. إن علمت بها فمن الممكن أن تخوضها أو ترفضها؟ كيف يمكن

fb/mashro3pdf

تسمية ما نعيشه بالصفقة؟ ما حياتنا إلا قدر جبري ثم يسألونك عن الحساب!

- موني: (تبتسم بنظرة إعجاب) أحيي فيك روحك الثائرة.

- يوسف: لم تعد لي روح.

- موني: الروح.. الطاقة لا تفنى وباقية روحك إلى الأبد.

- يوسف: من يتطلَّعون للأبد لا يجدون على الأرجح ما يفعلونه في النصف الساعة القادمة.

- موني: الأبد يا يوسف.. حالة لا يمكن إدراكها بالوعي الإنساني الحالي ولا يمكن قياسها بالزمن الأرضي.. كشف لا يد فيه لأحد إلا بما يسمح لك بأن تختبر.

- يوسف: لا أشعر بأنك من هنا.

- موني: كما لا أشعر بأنك هنا.

- يوسف: لا أتبيَّنك.. كما أنني لا أخافك.

- موني: أنا حقيقية.

- يوسف: والحقائق أيضا مخيفة.

- موني: أنا موجودة.

- يوسف: يا بنت..

fb/mashro3pdf

- موني: يوسف، أتعلم! يولد البشر كلهم إناثًا وتحاول الهرمونات الذكورية فيما بعد جاهدة - باستعلاء غير مفهوم - التنصُّل من ذلك.. إن النزوع إلى فرادة جنسانية عند البشر لهو نزق بدائي لا مكان له اليوم.

- يوسف: لعلني مع ذلك أختلق الأمر كله (ويضحك بمرارة).. هل أنا ميت بنظرك؟

- موني: أنت في حال سيئة جدًّا.

- ... صمت.. يتداركه صوت يوسف وهو يتمتم بكلام غير مفسَّر.

- موني: يوسف.. تعالَ.. اقترب مني.

لا يهم من أنا حقًّا؟

فمعًا سنذوق الخبال رشفة من بعد رشفة.

**

fb/mashro3pdf

(3)

الحادية عشر صباحا..

قبل أربع ساعات..

ندلف مسرعين من زوايا الشوارع القديمة في مسرة.

يقول لي باسم: يوسف أنت اللي أخَّرتنا.

- إحنا رايحين فين أصلا؟
- لما نوصل هتعرف.
- باسم.. أنا ماليش دماغ لجنانك أو لأصحابك ومش عاوز أشوف أي حد.
- في المكان اللي إحنا رايحينه مش هنشوف حد زيّنا.. ويبتسم بثقة

دخلنا إلى شارع شبه فارغ من الناس. ثم تقدمنا إلى بناية قديمة.

فاتخذنا درجها حتى وصلنا إلى شقة في دورها الرابع ودخلنا من بابها نصف المفتوح.

شممت رائحة بخور.. في البداية اعتقدت أنه حشيش.. لأني لا أميز رائحته تماما.

fb/mashro3pdf

أووه.. يا باسم أنت جايبني حلقة صلاة!

إيمانى بالأشخاص والأشياء تداعى منذ زمن.

- باسم روح أنت وحدك وأنا هستناك على أي قهوة قريبة لحد ما تخلَّص بالسلامة.
- مش بتزهق من القهاوي.. تعالى تغيير جو ولو اتخنقت إبقى إمشي.

كانت لديَّ قناعة بأننا نغتسل ولا نتطهَّر ونصلِّي كثيرا جدًّا فلا نصل.

إن دورانك حول قائم مكانك مفكرًا بشخص تحبه هو أقرب من ألف صلاة بلا أي شعور.

الآن أتقابل وجها لوجه مع مجموعة من20 شخصا تقريبا من المنتشين بالمطلق.

أتطلَّع فلا أرى منصَّة ولا منبر ولا صفوف ولا انتظام معين.

مطلق بعد حداثي لطيف يجمع الكل بلا طقوس معينة إلا من الاستخدام الصاخب للموسيقى المؤثرة على خلفية صوت

fb/mashro3pdf

رخيم لواعظ شاب ينتمي على ما يبدو إلى فئة ما من الواعظين الكاريزميين الأذكياء مرتفعي المستوى التعليمي والاجتماعي.

هناك ثلاث فتيات في حلقة صغيرة ضيقة.. إحداهن تميل برأسها على كتف الأخرى التي تمسح بحنان على جدول شعرها الأصفر بينما اكتفت الأخيرة باحتضان يد التي تبكي بيدها الرقيقة.

ثم حلقة أخرى أكبر وأكثر استدارة من ثلاثة شباب وبنتين يمسك كل منهم بيد الذي يجاوره ويغيبون في تمتمة غير مفهومة تزيد حرارتها مع انطلاق الواعظ الشاب في الكلام المؤثر.

انضم باسم إلى العازفين للعب على بيانو موجود هنا مسبقا.. واتخذت مقعدي.

في آخر المكان إلى جوار الشباك الذي يطل على الشارع الذي بدا لي أكثر وضوحا من فوق.

.. كانوا فى بداية الاجتماع الذى استهله الواعظ الشاب بتقدمة وعظية قبل الصلاة وقال بصوت هادىء:

- العالم بدون الوجود الالهى عالم حزين . لا يمكن المواراه او الفكاك من الحقيقة دى .. عالم بائس عبثى

fb/mashro3pdf

ضحل يفتقد الى المعنى والهدف. يفتقد الى الحب الغير مشروط وإلى العدل والرحمة وإلى صورة الخير الكلية .
العالم الآن مكان حزين مخصص لسحق الإنسان.. لتدميره نفسيا وجسديا وقتل أحلامه وتطلعاته وإفقاده لثقته بنفسه وببقيه الناس .. عالم قائم على خيبة الامل .. على التأثر الشديد بالسلبية وبالعلاقات الفاشلة والخذلان.. حتى مخدرات استمراره رديئة.
صاحب هذا العالم والقوى المسيطرة عليه قوى شريرة تعده بالمرض والجوع والحرب وكسرة النفس.
وأنت خذلتنى لأن هناك من خذلك قبلا أو أنا خذلتك أولا لأنى خفت من أنك تخذلنى قريبا .
مفيش حاجة أو حد ممكن يشبعك.. شحاتين المحبة هيفضلوا طول عمرهم شحاتين محبة ومن الكل. لأن اللى بتسأله أصلا معندوش .. إلا يمكن حب مشروط، ينفع شحات يسأل شحات؟ لأنك معبتش من المصدر.. المصدر اللى بيدى حب مجانى ولا نهائى للى يسأله. طول ما انت مستكبر عن المصدر هيفضلوا شوية البؤساء يسكعوك الف قلم كل مرة و هم بيرموك برة عنهم.

fb/mashro3pdf

كل اللى هتحصله من متعة فى هذا العالم هتكون آجلا أو عاجلا دفعت تمنها أضعاف .. هتكون دفعت من روحك وعمرك ودموعك كتير .. هتكون قربت من مآلك خطوة وقرب هو منك عشرة .

العالم والقوى التى تحكمه الآن شيء شرير جدا .. شيء غبى وغير رحيم وغير إنسانى . الأنظمة فاسدة والشركات تعبئ البشر كسلع بلا كرامة فى سعى محموم نحو اللا شيء. القيمة منعدمة والأصل واهي والوهم هو الحقيقة والمحاكاة هى الحياة. الشبع من العالم ومن اللى فيه زى كأنك بتسد الفضا بالفضا .. محاولة ملء الخواء اللى جواك بالمزيد من الخواء اللى جوة العالم هتفشل كل مرة و مع كل حد .

ثم ختم كلامه بثقة :

- الملكوت هو الصلة مع الله . هو الانسحاق فى الوجود الالهى الاعلى .. والتماهى مع القوى الخيره ومع العقل المطلق الذى أسس كل شيء .. إنه ما تبقى من وعيك وطاقتك يجتمعوا أخيرا فى الوعى الاعلى العام لله .. وتتحرر فى قدس طاقة العلى المحبة و الرحيمة .. ان تتحد به وينعدم وجودك فيه ليتحقق بشكل أكمل.

fb/mashro3pdf

يدور الجميع في حلقات على أنغام موسيقى ترنيمة ما.. وبدلا من أن ترتل كالمعتاد، يبث الواعظ أنينه في الصلاة. كأنه همس قريب، ثم يعلو بالإلقاء ويهبط بالكثير من الروعة والاحتراف.. ورائحة البخور تغلف الجو برهبة وحضور جديد أحال المكان إلى بُعد مختلف.

" لو حابب.. ارفع قلبك وغمض عيونك وصلِّ معايا.. أنا النهارده جايلك يا رب.. أنا جاي أديلك حياتى يا رب.. أنا النهارده مش ملكي.. أنا ليك.. عاوزك تاخد بإيدي يا رب وتحتضنِّي.. تخرجني من اللي أنا فيه.. أنا جاي النهارده آخد غفران منك.. تطهير بيك.. أنا جايلك يا رب تفكني من كل عبودية وكل هوى وكل شهوة.. أنا عاوز أبدأ حكايتي معاك.. ألاقي نفسي وأعاين رسمك ليا وفي حياتي.. عاوز يكون اسمي مكتوب على إيدك ومنقوش على كفك.. مش عاوز أشحت حب من الناس تاني يا رب ولا طلب بعد إلا وجهك ورحمتك".

كان إلقاء الواعظ (عرفت بعد ذلك أن اسمه محب) لهذه الكلمات رهيبا بحق.. عوضا عن الحلاوة التي في صوته كنت أشعر - ربما لأول مرة - بصدق في كلامه.

تم الاعتقاد فيما سبق بأن الكاريزما: وهي كلمة يونانية تعني الهبة أو التفضيل الإلهي، صفة أصلية يولد بها بعض الناس

fb/mashro3pdf

وليست مكتسبة، لكن مع تقدم البحث رأى العلماء أنه يمكن اكتساب الكاريزما بالتعديل السلوكي والمهاري ومع الوقت.

لكن يمكن تلخيص سمات الشخصية الكاريزمية في الآتي:

- الإحساس العميق بالمشاعر الذاتية.
- القدرة على تمرير المشاعر نحو الآخرين.
- المناعة ضد الكاريزما الخارجية.

إلى جانب عدة عوامل أخرى مثل: الثقة بالنفس، الصبر، العواطف القوية، التزامن بين الحديث ولغة الجسد، اللطف مع الناس والإقناع.

محب بلا شك إلى جانب أغلب الواعظين والدعاة الدينيين المشهورين، يمتلك شيئا من المهارات السابقة.. لكن يمكن - إذا تجاهلنا الإقناع والمنطق لأننا شعوب لا تحب التفكير كثيرا - أن يستعاض عنهما بفرط الحديث العاطفى.

إليك كيف تجري الأمور:

يقوم الواعظ بتضخيم الشعور السيئ بالذات والحال.. يتبع ذلك مباشرة إحساس الفرد الداخلي بتنامي الشعور بالإثم والذنب، ثم إذ يأكله الندم على ما فعل أو لم يفعل

fb/mashro3pdf

أصلا، يقدم له آلية الخلاص من كل هذه المشاعر السلبية.. الغفران يتسرَّب من فم الواعظ كقبل الحياة مع الوعد حتى بحياة أفضل.. وواقع مختلف وأجمل إذا أصر المؤمن على متابعة طريق التوبة والاعتصام بحبل الجماعة المطهرة.. ثم يعاد نفس الترتيب كل مرة.

هناك من يتصور أننا أمام صورة مكبرة من الخداع الذي يمارسه هؤلاء.. ومع الوعى بحقيقة أن منهم من يخادع فعلا، لا يمكن إنكار أن غالبية رجال الدين منخرطين فعليًّا وشعوريًّا في دعم عمل هذه الآلية كنوع من تثبيت دعائم إيمانهم الشخصي المهتز.

لا أستثني من ذلك محب الذي يتابع بصوته المؤثر:

"بنصلي يا رب ليك.. من أجل كل ولد باسمه وكل بنت باسمها من المجتمعين دلوقتي.. ومن أجل اللي حاولوا ييجوا وما قدروش ومن اللي بعاد أوي يا رب.. ومن التعبانين.. الحزن كاسي الوجوه يا رب زي ما أنت شايف والناس قلوبها مكسورة.. فرح الناس واجبر بخاطرهم وداويهم وداوينا ودوَّقنا من فرحك اللي عمره ما بينتهي.. الأرض دي مسقية بدموع كتير.. صراخ ودموع وصلاة.. لسه الأرض دي محتاجة إنها تقف قدام المراحم الإلهية.. رد يا رب سبينا من الخطية ومن التعصب

fb/mashro3pdf

ومن التعظم والضلال.. لتجعل هذه الأمة مباركة جدا.. ليقال بين الأمم لقد عظم الرب العمل معهم".

**

الصوت: يمكنك أن تهمس أو تصيح، تطلب، ترفض، تعلن، تعبر عن حبك، تئن، تؤكد...

من صوتك يحكم المستمعون عليك بأكثر مما تظن.. يحكمون على شخصك وأفكارك بشكل أساسي من الصوت.. لو كان صوتك محببا لهم سيسهل عليك جدا التأثير عليهم وحتى إقناعهم بأفكارك.

ذلك لأن الناس تنتبه للصوت بضعف نسبة انتباههم للمحتوى مهما كانت أهميته..

وبشكل ما لا يمكن أن تسمع صوتك كما هو عليه فعلا؛ لأنه يدخل أولا إلى عظام رأسك قبل أن تسمعه بأذنيك.. فيختلف.

لعل صوت محب في أذنيه ليس جميلا كما أسمعه.. لكنه يتابع:

يقول الرب: طلبت من بينهم رجلا يقف في الثغر أمامي، عن هذه الأرض لكي لا أخربها.. لكي أحييها.. لكي أرد سبيها، كالسواقي

fb/mashro3pdf

في الجنوب. إحنا النهارده نقدر نقف في الثغر ونقول للرب: ها أنا واقف مبصر شعبي ملكا لك.. وأنا واقف وبنادي يا رب.. بدموع وصراخ الناس وأنين الناس.. يا رب رد سبينا..

كمل اللي أنت ابتديته ورد سبي الناس من الخطية.. جعلت دموعي في زق عندك يا رب.

دموعك عند الله محسوبة.. لا ينساها ولا تضيع قطرة حزن من عيونك.. أشرق يا رب علينا بشمس سترك ورحمتك على الكل.. على كل اللي بكوا وكل اللي حضروا وكل اللي كرهوا وكل اللي حبوا"..

**

كان الكل قد انخرط في بكاء صعب.. إلا البنت التي كانت تبكي أولا.. هدأت واستغرقت في صلاة مكتومة وحدها على الأرض.. جلست ربما من التعب وهي منكسة الرأس وأخذت تحرك يدها على وجهها تمسحه..

وبينما يتنحَّى صوت الواعظ والجمع مأخوذ في الغياب.. تتقدم الترنيمة إلى صدارة النسج.. وأغيب معها وقتا لا أعرفه.

يقطع غيابي صوت هاتفي المنخفض.. يسرا.

- يوسف وحشتني ووحشني صوتك.

fb/mashro3pdf

- وأنتي كمان.. مش هعرف أتكلم دلوقتي.
- إيه الصوت ده؟ أنت في عزا؟
- لا أبدا.. هقولك بعدين.
- عاوزة أشوفك، تعالى نتقابل وندخل سينما زي زمان، أنا عيانة بيك.. ولو حابب تعرف: مكان لمسة إيدك على رقبتي بيحرقني.

أتشفي منك إزاي؟

.....

**

تستولي الموسيقى والترنيم على المكان ويعلو هتاف الحضور بالفرحة والتصفيق.

"ما فارقنيش أبدا أبدا

إحسانك ده ما فارقنيش

من وأنا لسه في رحم الأم

الرحمة شالتني وما سابتنيش.."

**

fb/mashro3pdf

(4)

نصوص من المذكرات الشخصية ليوسف صبري:

كتبت هذه النصوص من بين أجزاء أخرى لم تدرج هنا..

يناير

لا أعتقد أنني فعلت أي شيء صحيح في حياتي.. يمكن اعتبار أغلبها مزجا بين الخذلان والحزن وانعدام الأمل.

**

اليوم تكونين لي.. ثم لن تقربها.. القطار يدهس الولد.. الرب نوري وخلاصي فممن أخاف.. والعدم خير وأبقى.. لا تفلت يدي حتى أموت.. صوت العجلات بعد الفرملة.. أزيز الرصاص في الأجساد المنتهكة.. خلّص آخرين وأما نفسه فلم يقدر.. لئن بسطت يدك إليَّ.. لن تذوق العسل من على رقبتها.. عيناها أوسعت الحزن امتلاء.. عيناها متاهة كصفحة البحر.. لا هادٍ لك في الطريق.. وجهك إلى الحائط وارفع يداك.. أتمنى لو احترقت خلايا مخي لأرتاح.. انظر إليَّ وأنا أحدثك.. كل الطبقات تستحق السحق.. من ينهي آلة القتل.. أثر استناد النظارة على أنفك.. من أجل مذيع جديد.. لم أعد أشعر بأطرافي.. الألم يطهّرك الآن.. أشلاء جسد الولد على قضبان حديد.. ارحم حتى

fb/mashro3pdf

تُرحم.. لقد فشلت أيها العلي.. كيف أفسدنا الأمر كله.. نظريًّا أنت غير موجود.. وتخرج إليَّ صورتها من كل الثقوب الدودية لذراتي.. الرب قال لي أنت ابني.. الرب تركني.. إيلي إيلي لما شبقتني.. الخوف يتسرَّب لك من تحت الباب.. وأكون أنا وحدي.

**

لا فائدة من أي شيء.. لن تبرأ آلام ظهرك ولن يذهب السواد تحت عينيك ولن تضيق حدقتها لمواجهة موجات الأتربة التي تغصُّ بها شوارع مدينتك القذرة. لا يأبه العالم لوجودك.. فالعالم يا صديقي - كما ترى - بات غارقًا في رماد احتراقه وأصبحنا نتنفس الموت في الهواء حيث تحاوطنا رائحة الدماء أينما ولَّينا..

ماكينة السلاح والقتل لا تهدأ وصراخ الأمم التي تجاورنا يزيد صخبا والضغط يكاد يصهر ذراتنا الضئيلة.. في كل مكان تهيأ ساحات القتل والصدور تفيض بالكراهية والحقد.. الإنسان يكتب آخر فصول وجوده على الكوكب اليتيم ويخطو بثبات على شفا حفرة من هوة الانتحار الجماعي. ولا خلاص..

**

fb/mashro3pdf

أنت لست إلا فأرا يحاول الهروب من خوارزمية.. تبدو تلك السنة أنها تعاد مرارًا بلا نهاية. في أثناء المحاولة تتخبط في الجدران كأنها مخارج وإذ هي تضيق حتى تحبس نفسك. وأبوك يتحدث إليك من سباته طلبا لمصلحة ما كعادته الحقيرة. والتي تحبك سابت جسدها لمن يملكها. وأنت وحدك تتجرع المرارة في أطباق الكشري كأنها متعة مستحقة. وتفرط السجائر التي تحبس نفسك في آخر الليل. ويروح ويأتي الصوت في أذنك.. نفسها وتأوهاتها ونبض شريانها السباتي. النبض الذي يفاقم من تدفق دموعك على فراشك كل فجر. كل ليلة تبل سريرك بدموعك وسائلك ثم تذهب صباحا إلى عملك وبسمة على وجهك وطهر يكذب بين يديك وصوت نفسها يهمس في أذنيك: اشتقت لك أن تبكي على صدري يا حبيبي..

أتمنى أن يقع كل شيء في الصمت.. أتمنى أن تكفوا عن الشكوى والبكاء والضحك المستفز.

وأن تسكت الأصوات في مخي وأهدأ..

**

لقد استهلكت كليًّا. واتسع الهتك على الراتق. لم يتبقَّ لديك أي شيء لتقدمه لها أو لغيرها. مجرد مزج مملّ من الحزن

fb/mashro3pdf

وانعدام المعنى. اعتذر منها واعتذر للكل ثم سبَّها وسب الكل وارحل.. قل لن يضيق علينا وسع القبر ولن نحاسب على الفقد في الطريق ولن ترهبنا كائنات ممسوخة. قل للأمل سألناك يوم ضيق فرددتنا. أما الآن فلم نعد بحاجة لك. اعتذر للوجود وارحل في مضيق النور البارد. لا خوف عليك حتى لو كنت حزننا..

**

تقول لي موني باستمرار: كل شيء سيكون جيدا. كل شيء سينتهي. ستذهب آلام ظهرك.. سيخف دفع الدم في شرايينك ويبرأ احتقانها.. ستهدأ حدقة عينك وتنعم خلاياك بالأمن من بعد الاضطراب.. سينطفئ شيط أعصابك ويجري الخدر على خلايا دماغك فيصل بها إلى الهدنة.. يوما ما.. لن تحتاج لها.. سيراوح طيفها خيالك ويتبدَّل ألم الذكرى إلى تشوُّش خفيف.. ستراها وهي تضحك وتراها وهي تذهب ويتنزَّل عليك سلامها وتدعها.. أنا إلى جوارك.. أنا أشعر بك.. لا تخف لأني معك.. لا أتركك ولا أكرهك ولا أهملك.. لن أفلت كفَّك وأنت في حاجة.. صدقني لن أفلت كفَّك لأني أحبك حتى بعد أن نعبر معا وينتهي كل شيء..

**

fb/mashro3pdf

كل يوم يزيد اقتناعي بأن البشرية لا يوجد علاج لها، الإنسان سرطان الوجود في المجرة المنسية.

**

بعدما أجهدت رأسها بكلامك عن أن الحب هو حالة من نشاط هرموني غير طبيعي تكون مصحوبة بتعظيم الوهم في مخ من يحب عمن أحبَّ.. هل تتذكر: الحب يا بنتي هو توقُّع أداء جنسي أفضل.. وبعدها..

إحساس الرجفة بات لا يفارق قلبك.. ونمل صغير غير مرئي ينهش مقدمة رأسك.. والصداع يكاد يمزِّق ما تبقَّى من خلايا مخِّك المشتعلة.. هل تحسُّ أثر ثقل جانبك الأيمن؟ لا تعرف السبب: عدم النوم أو الإفراط في تناول حبوب النوم.

والصداع.. أو لعلها ليست بخير.. أنت الذي لطالما تباهيت بمعرفتك الباطنية للأمور يجيء اليوم الذي لا تدري فيه من أبسط أمرك شيئا.. ويجيء اليوم الذي يصبح فيه ذهابك لشرب كوب ماء مثلَّج هو معاناة حرفية.. مجرد 20 مترا أخرى من الموت الحي الماثل أمام عينيك.. تتذكر كلامها في ذلك اليوم.. عاوزة أشوفك أحسن حد. أحسن مني ومن الكل.. وأحسن حد

fb/mashro3pdf

لا يريد سوى رؤيتها مرة أخرى.. تسقط اليوم كل نظرياتك الغبية عن الحب والجنس ولا يبقى إلا وعد بمحاولة جادة لتكون أحسن حد، ينتهي على أيه حال بجلب كوب ماء أخير قبل أن تسدل ستار حياتك وتهرب مواربا باب الأمل الثقيل إلى فسحة العدم الأولى..

**

إيقاع نفس الموسيقى يرن في أذناي منذ ساعات لا أعلمها، كل شيء متوقف على انتهاء لم يحن بعد، الموسيقى على وضع تكرار بلا تعب، والأشياء تبدو موانًا في مكانها على أثر موجات البرد، ولا أفكر في أي شيء، جلُّ أفكاري الفشيخة فقدتها في لحظة ما من النسج، هي كانت صاحبة هذه الفكرة، ولا يزال صوتها يتردد في داخلي.. "تعرف.. أنا باسمع نفس الموسيقى طول اليوم، ده بيدِّيني إحساس بأبدية مريحة.. الوقت والمكان وقف وانتهت كل حاجة.. بس هم لسه ما أعلنوش ده بشكل رسمي (وتضحك)" متى تعلن النهاية طيب؟

**

الحياة سرطان مؤلم.. نمارس الجنس حتى نجوع، ونأكل حتى نمارس الجنس. أو أي شيء آخر يخدِّر وعيك وجسمك عن

fb/mashro3pdf

حقيقة وجودك وألمك غير المبرر.. فاختر لك مخدِّرًا يوصلك لآخر اليوم..

**

الألم.. ذلك الشيطان يتسرَّب لك من تحت الباب، يتمايل كراقصة تعرٍّ وسوط نار يجلدها على ظهرها بلا أمل في خلاص قريب..

**

77

تذكر وأنت تمارس خيانات مستمرة على نفسك وعلى من حولك.. لكم كان الأمر ممتعا.. لكم أعطتك الدراما إحساسا من الانتشاء لا يوصف.. هل كنت حزينا فعلا؟ عندما بسطت يدك لتقتل أخاك.. هل كنت تأبه أصلا؟ عندما سحبت يدك من يد الذي أحبك.. لكم كان ممتعا أن تراه وهو يموت عشقا.. دمعتان وفكرة مجنونة وضحك مخفي وموسيقى ترج خلايا مخك.. الاضطراب لن يتوقف إلا إذا أنهيت الأمر كله.. اقتل أخاك ظلما.. واقتل من أحبك تركا.. واصلب نفسك على شجرة.. الإنسان سرطان الوجود في المجرة المنسية.. خلِّص نفسك.. ومن أمات نفسه أحياها ومن أحياها يميت غيرها.. تذكَّر كل ما حدث

fb/mashro3pdf

واضحك ملء شفتيك المجروحة.. لكم كان ممتعا أن ترى الوجود يحرق تحت أقدامك.. ولكم كانت الدراما جيدة حد أنها لا يمكن أن تستمر طويلا..

**

نوفمبر

ماذا لو كان كل شيء غير حقيقي؟ لا يوجد يوسف ولم يوجد على الإطلاق.. هذه أكثر فكرة مرعبة.. وجود يوسف من عدمه ليس مهمًّا بالطبع.. لكن المخيف هو احتمالية أن يكون كل ما نراه أو نسمعه مجرد وهم مبرمج داخل أدمغتنا قبل أن نولد حتى.. ماذا لو كنا جزءًا من مشروع كوني سري لإجراء أبحاث نفسية ومحاكاة للحياة على كوكب أزرق باهت؟ حيث الفتاة التي أحببتها أُجبرت على تركك بغير إرادتها ليتم اختبار ردَّة فعلك مثلا.. وحيث كل شيء حدث بينكما كان وهما محضا.. وحيث عينيها ليست جميلة للغاية كما كنت تتصور.. أو ربما هي بلا عيون.. أو ربما لم توجد من الأساس.. لماذا نأخذ كل ما يحدث هنا بهذا القدر الكبير من الجديَّة.. لم الفقد يحدث؟ ولم الحزن يبدأ؟ ولم لا ينتهي؟

ألا تشعر أحيانا بأن هناك شيئا ما خطأ؟ حيث لا يمكن أن تكون الأمور عبثية لهذا الحد إلا لو كانت محاكاة أو مسرحية..

fb/mashro3pdf

وربما بعد فترة ستضاء الأنوار وسيحيا الموتى وسيبرأ المرضى ويداوى الجرحى ويعوَّض فاقد من أحب بأطنان من الحنين المدفوع الحساب.. عندها فقط سيصفِّق الجمهور الكوني وربما تدمع عيونه.. وقد ترى يوسف مبتسما في زواية العدم للمرة الأخيرة صائحا "لقد قلت لكم.. لا يمكن أن يكون الأمر كله إلا محض محاكاة رخيصة.. فتجاهلتم مجرد وضع علامة إعجاب على الكلام".

**

قالت "من يعبر هذه الكأس عني؟ من يرفع عني سخط الوحدة والانتظار؟"

**

هل تشعر؟ تخلع ملابسك وتقف عاريا في الشرفة. هل لا زلت تشعر؟ الاختناق في الجو لا يمكن تفسيره.. أو أن الاختناق داخلك؟ متى كانت آخر مرة شعرت فيها بشيء ما حقيقي دون أن تقاطعك اللحظة أو قطعتها بغبائك؟ أحيانا أحس بأني لن أشعر مرة أخرى إلا إذا صدمتني سيارة نقل كبيرة أو تجرَّعت كمًّا كبيرًا من الهيروين.

.. شعور قوي غير مسيطر عليه مرة واحدة وإلى الأبد.. أو كالشعور الذي راودك وهى معك.. شعور كأنك لامست سطح

fb/mashro3pdf

الشمس.. هنا أحسست بالوهج، وهنا سمعت صوتها أن اهرب مني سأحرقك.. وهنا اخترت أن تحترق منها.. شعور قوي.. مرة واحدة وإلى الأبد.

**

يسرا.. أنا خائف، أصبحت تهمس في أذني كثيرا..

**

أكتوبر

المجد للعدم.. المجد لباعث اللا وعي.. الخلاص الأخير والحل النهائي والشفاء الذي لا ينتهك.

**

في محاولة أخيرة للهروب.. أهرب بلا وجهة محددة.. عداد الساعة ينخر عظامي، وألف سؤال بلا أي إجابة.. ولا تعرف هل هو القدر أم المسار الذي يصعب تعديله.. وسوط نار يجلدني وهو يسأل عن المعنى وراء كل شيء.. عن الفارق بين الحقيقة والوهم والواقع.. أمارس مجموعة خيانات متواصلة لنفسي ولحلمي وعلى جسدي، والانتهاك يطال كل المقدَّس، حتى أصبحت بلا ثابت واحد.. وأسأل وتسأل نفسي لماذا لا تدع الكل يمر حولك بسلام؟ فلا شيء يستحق عناء الألم المسكوب على أعصابك المرهقة..

fb/mashro3pdf

بينما يتسرَّب السلام من خلفي ببطء كل شيء ويستقر معراجا على ركبتها.

**

الكل يريد أملا حتى لو كاذبا، تفاديا للنظر في المرآة ورؤية حقيقة تدفع للانتحار الجماعي. الأمل عاهرة بلا أجر وانتحار للمنطق في بلاد بلا قلب.

**

أنت لا تحتاج لأي شيء أكثر من احتياجك الوجودي لدسّ أنفك في كم من الهيروين، واحتياجك العدمي لطلقات من كلاش آلي يعمل ذاتيًّا نحو صدرك.

سبتمبر

كان أبي فقيرًا. كان أبي يصلي. والصلاة كانت كتابا فقدت ذلك الشيء. صليبه كان مفرغا. لم يكن هناك شيء. كانت هناك سفينة. الساري بأيدينا. والعلم كان شعرها. يُرى من أثينا. كانت هناك أحبك. بحبك بحبك بحبك. حتى مطلع الفجر. ومات الليل سنينا. كانت هناك شهوة. تفيض من عينها. وكنت بلا عيون. فلا رأيت كذبا ولا رأيت يقينا. كان هناك بحر. بحر بلا موج. وأسماك بلا حركة. وحركة بلا معنى. خرجت السمكة تعدو. وحنين البحر وراءها. وعاشت بلا معنى. اليوم نخلص

fb/mashro3pdf

أنفسنا. اليوم بلا ألم. هات الذكرى نحرقها. وهات روحك واتبعني. اليوم لا ألم. اليوم لا ألم. أبي يرقد هنا وأنا بلا أب. فلا تحبي يتيمًا. اليوم تعود السمكة. حرِّر روحك في البحر. ألق بنفسك في المياه. بعيدا عن حجرها. لا سفينة هناك. أرأيت منارة. لا منارة هناك. وشعرها مجرد شبكة. إن كانت هي موتا. فيحيا العدم كريما.

**

سلام عليها.. سلام على كل اللي باع وكل اللي اشترى، سلام على كل اللي حب وبعد وكل اللي حب وكمل وكل اللي حب وسكت، سلام على كل اللي كره وشتم وكل اللي قرَّب وشجَّع، وسلام على الموت في المستشفيات وعلى الحياة فيها، وسلام على الكانيولا والتورنيكيت، سلام على الملل والفشل، وسلام على الشغف والنجاح، سلام على المسافات يمكن تقرَّب ويمكن تختفي، سلام على الوجود لو كان بعده حاجة، وسلام على العدم لو كان قبله حاجة، سلام على لمسة إيديها والبحَّة اللي في صوتها والغمازتين اللي في آخر ضهرها، وسلام على المعنى والحقيقة والوحدة.. والحزن اللي ما بينتهيش...

**

fb/mashro3pdf

(5)

السادسة والنصف مساء،

تذكر الأسطورة الهندوسية أن كاكوداما الملك قد سافر إلى السماء تلبية لدعوة الإله براهما، لكن من المثير أن تذكر أيضا أنه عندما عاد إلى الأرض كان قد وجد أعمار كل من تركهم خلفه في الرحلة وقد مرَّت كلمح البصر..

ربما تكون هذه القصة هي أول إشارة لفكرة تباين الزمن في الفضاء.

وقبل ظهور النظرية النسبية لأينشتاين بسنين عديدة، تحدثت الكثير من الروايات والملاحم الإنسانية القديمة عن نسبية الزمن.

النسبية، وهي النظرية التي أضافت الزمن كبعد رابع بالإضافة إلى الأبعاد المكانية الثلاثة (الطول والعرض والارتفاع)، تقول إن الزمان والمكان مرتبطان معا، ولا يمكن أن يوجد أحدهما بمعزل عن الآخر.

تبدو هذه الفكرة كلاسيكية للغاية، لكن اختراق النسبية الأساسي يكمن في اعتبار الزمن كقيمة نسبية متغيرة من مكان إلى آخر تبعا للسرعة التي يتحرَّك بها الناقل بين المكانين.

fb/mashro3pdf

وكلما اقتربت هذه السرعة النسبية من سرعة الضوء فإن الزمن سيبطئ، أما إذا لامست سرعة الضوء - إذا افترضنا ذلك بشكل نظري - فإن الزمن سيتوقف تماما.

**

هل حدث وأن تساءلت يوما لماذا تفعل هذا الشيء؟ أو لماذا تفعل هذا الشيء بالذات وليس شيئا آخر؟ لماذا اقترحت هذه الطريقة تحديدا لفعل هذا الشيء؟ لماذا تستمر في فعل نفس الشيء بالرغم من علمك السابق بأنه ربما.. ربما ليس صحيحا تماما؟

ربما تدخل الجدوى في حساب الأمور.. لكن ذلك في أغلب الأحوال يحدث ظاهريًا فقط بحيث إذا دقَّقنا النظر سنجد أن حتى الجدوى إذا تم اعتبارها كدافع أساسي للفعل ستنعدم أو ستظهر بشكل مضحك على أحسن تقدير.

إذا أردت الذهاب إلى مصر الجديدة من وسط البلد، يحدث ذلك للناس مليون مرة بمليون طريقة. لكن ما الذي يدفع البعض إلى استقلال مترو محمد نجيب إلى العتبة ثم إلى العباسية ثم النزول مرة أخرى لاستقلال تاكسي إلى مصر الجديدة؟

fb/mashro3pdf

ببساطة ربما أنت لا تعلم شيئا عن طرق الوصول المختصرة في المدينة، أو لعلَّك لم تخطط أصلا للذهاب إلى هناك وأحببت التوهة معها في المترو والشوارع.

أو ربما تدخل الجدوى المالية في حساب البعض، إذا اعتبرنا أن ذلك أوفر.. لكن نفس هذا البعض الذي اختار هذه الطريقة للوصول سيدفع عن طيب خاطر 50 جنيها لشراء أيس كريم لمجرد أنه لا ينقلب في الأرض إذا قلبته للحظة بعدما تشتريه مباشرة.

صحيح.. ربما لا تدفع 50 جنيها في كرة أيس كريم صغيرة إلا معها.

وربما لا تذهب إلى مصر الجديدة مرة أخرى..

هل تريد أن تعرف أكثر عن نسبية الزمن؟ استقل المترو وقت الذروة معها، ثم استقله مرة أخرى في وقت الذروة أيضا وحدك.. حتى تتعلم كيف يمكن أن يتباطأ الزمن وأنت مضغوط وخائف عليها.. حتى تحس البطء تحت جلدك يسري.

**

زحام.. غبار.. قذارة.. حشر.. تحرُّش.. سب دين.. روائح كريهة.. أزياء بشعة.. نظرات موحشة...

fb/mashro3pdf

هذا ما يحدث إذا تجمَّع أكبر قدر من الجين المصري العفن في مكان واحد.

في المترو ستجد كل الدلائل على أن المدينة تتداعى ببطء، ديناصور عجوز مضروب باللعنة من السماء وعلى الأرض.
وأنت تعلم طبعا أن العالم غارق في متوالية من العبث..
حيث الوهم مفضَّل على العلم.
والكذب مقدَّم عن الحقيقة.
ووصلة راقصة أشهر مليون مرة من سرد الكاتب.
حيث البلد ماخور من المدمنين والفسدة.
والنسيان أمل المؤمن يتجرَّعه في حبوب النفاق والفراولة في أزقَّة محشوة بتراب الخيبة.
وريف البلد يفلحه الجهل والفقر من الفجر حتى العشاء.. ومن العشاء للضحى.
ورجل أعور ملك على عميان..

السلالم الكهربية معطلة.. يوم آخر في الجنة للناس الأكثر وزنا. المؤخِّرات الضخمة جدًّا تتهادى بصعوبة وألم.. أطنان من الدهون المشبَّعة والكوليسترول المعجون بالشراهة وضيق الأفق يثقل هياكل السلالم الحديد.

fb/mashro3pdf

الناس تأكل بعضها قبل أن تغلق الأبواب. رجل ضخم ككلب بحر تائه يستغل بطنه المهولة لإزاحة شابة قليلة الوزن لحجز مكان في القطار..

تسألني يسرا: هو القطر ده رايح الجنة؟! ليه ما يستنوش القطر اللي جاي بعده؟

الكل يا حبيبي يريد أن يصعد على متن القطار المكيَّف ليتابع التقاط أنفاسه البائسة واستمرارية حياته المنعدمة القيمة.. وأنا وأنت نرقب المهزلة كالأعمى منذ 38 عاما ينتظر أن ينزل مرة واحدة مباشرة بعدما يتنزَّل الملاك إلى البحيرة ليشفى قبل أن يسبقه رجل ضخم ككلب بحر تائه يستغل بطنه المهولة لإزاحة الناس..

كل هذه السنين يا صديقي الأعمى وأنت لا ترى إلا طريقا واحدا للشفاء قبل أن يأتيك المسيح ليخلِّصك وأنت في مكانك.

**

نصعد أنا وهي أخيرا.. نحشر في زاوية الباب الذي لا يفتح.. الضجيج يصمُّ الآذان.. أحاول حمايتها.. أن أخبئها بحيث تجد لها مكانا في الزحام.. مكانا خاصًّا لا أكون حتى جزءا منه.. إذا حاولت حماية من تحب من التحرش بأن تكسر الحد الفاصل

fb/mashro3pdf

بينكما، بالقرب الشديد منه بالقدر الذي يكتم عليه أنفاسه ويحجم حرية حركته..

ألا يعتبر ذلك تحرشا من نوع جديد؟

لكن مع ذلك تشعر بالضيق.. تتسارع أنفاسها من التعب وانعدام الأكسجين.. لم تعتد على ذلك.. ربما لديها فوبيا الزحام أو الأماكن المغلقة أو الاثنان معا..

أنا آسف.. أنا طلّعت ميتين أهلك معايا في المترو.. أقول لها.

خلاص قرّبنا نوصل صح؟ تسألني.

أيوة.

**

وقبل أن نصل، أغيب...

تعددت مرات غيابي في الأيام الأخيرة.

هناك امرأة هائلة الحجم ملتحفة بالأسود في الجوار ترمقنا بقرف، إلى جانبها تجلس سيدة تجيد التمارض للحصول على مقعد من شهامة الرجال الأغبياء.

إلى جانبها رجل عجوز أصلع لا يكف عن السعال.. وفي كل مرة يسعل ينتفض كل جسده من شدة الحركة. إلى جانبه

fb/mashro3pdf

يجلس شخص بأداء موظف عمومي فاسد لا يكف عن قراءة أخبار الجريدة الحكومية التي تكذب عليه ببلادة منذ 40 عاما.

في الجهة المقابلة لمقاعد الجلوس، تجلس بنت ترتدي جينزا ضيقا وتضع ميك أب كامل وسماعات للموسيقى في أذنها وتحاول الابتعاد عن الولد الذي يفشخ رجليه في المكان أملا في ملامسة البنت بشكل خاطف كلما أبطأ القطار في السكة والزمن.

ثم طفل ثم طفل ثم امرأة حامل تحاول إرجاع الطماطم إلى مكانها في الكيس الأسود.

بشكل ما.. يستحيل كل من كانوا في السطور السابقة إلى حيوانات.

عندما تتفاجأ الحيوانات بمواقعها من الوجود فإنها تبدأ بالصراخ.. والصراع.

المرأة هائلة الحجم والتي تحولت إلى بقرة سوداء ضخمة.. تحوم حول الكلب الذي كان موظفا عموميًّا فاسدا فيما قبل كيما يساعدها في الهجوم على الحيوانات في الجهة المقابلة من الكراسي.. البنت التي تستمع إلى الموسيقى استحالت إلى أرنب يحتضن جزرة ويستمع إلى الموسيقى. لكن هذا الأرنب مخطوف

fb/mashro3pdf

على حجر الولد الذئب الذي يحكُّ نفسه فيه بتلذذ بينما ينغمس الأرنب أكثر في التوحد مع الجزرة والأغنيات.

إلى ذلك.. استحالت المرأة الحامل إلى قطة حامل ذيلها مقطوع تموء من الوجع وهي تشعر بالحقارة من مجرد النظر إلى أطفالها الفئران الذين أكلوا ذيلها من شدة الجوع.

تعلن المرأة البقرة الحرب بالاستعانة بحليفها الموظف الكلب بينما ينهمك الذئب المختبئ في انتهاك الأرنب أكثر.. وبينما تداعت الجهة المقابلة من المقاعد سريعا على أثر إرهاب البقرة وقوتها وصراخها.. تبدأ البقرة في التوسُّع والصراع مع بقية حيوانات العربة التي تحولت إلى ساحة ألعاب رومانية مجنونة.

ينهش الذئب الأرنب ثم الجزرة.. تأكل القطة الفئران الذين أكلوا ذيلها.. ثم تبلع البقرة القطة والفئران المأكولة.. وتبحث عن الذئب الذي اختبأ في أقصى العربة محذِّرا بقية الحيوانات من وحشية البقرة.. في الوقت يعقد فيه القرد اجتماعا موسَّعا مع بقية الحمير لتدارس الأمر.. اجتماع قمة يفضي إلى محاولة تهدئة البقرة وترضيتها انتظارا لهروب جماعي ما إن تأتي المحطة التالية..

وبينما يحتدم الصراع بين البهائم، أحاول النأي بنفسي ويسرا عن أي اعتداء.. أحاول التظاهر بأن كل شيء طبيعي..

fb/mashro3pdf

بأنني أتفهَّم طبيعة الموقف ولن أحاول الانخراط في الصراع بأي شكل ولن أحاول ترجيح كفَّة أي حيوان على حساب الآخر.

ثم يحدث ذلك فجأة: تشتد الأضواء في العربة.. تشتد للغاية حتى تكاد تعمينا عن النظر.. يهدأ صوت الحيوانات.. يهدأ أكثر حتى يتلاشى.. ويتلاشى معه الصراخ والصراع والحرب. يحلُّ سلام خاصٌّ لهذه العربة بالذات.. لهذا القطار تحديدا.. تختفي الحيوانية تماما.. يختفي أيضا البشر.. يغوصون في الضياع.

بينما يتخذ القطار منحنى صاعدا إلى فوق.. إلى أقصى فوق.. بسرعة رهيبة تلامس سرعة الضوء. يبطئ الزمن، يتوقف حتى. أتأمل وجهها وقد راحت عنه الزرقة والفوبيا والحكايات..

**

تقطع يسرا غيابي، تقول لي بتنهُّد:

يوسف، هو إحنا طولنا أوي كدا ليه.. دي كلها محطة واحدة من نجيب للعتبة؟

أنا تعبت..

fb/mashro3pdf

خلاص وصلنا أهو.. معلش على الفشخة دي.. وابقي فكَّريني أحكيلك حكاية عن نسبية الزمن.

يصل القطار إلى المحطة وننزل..

لا يزال هناك ولد ينتظر على رصيف المترو.. أن يأتي قطار شبه فارغ يشعر فيه بإنسانية لا تزيح الفئات الأضعف لتصعد أولا في كل مرة.

**

fb/mashro3pdf

(6)

طرح هوكينج نموذجا آخر للواقع البديل نجده في فيلم ماتريكس The Matrix أو المصفوفة، مفاده أن "البشر يعيشون في واقع خيالي بدون أن يعرفوا ذلك، واقع تمت محاكاته بواسطة كمبيوترات ذكية كي تحافظ عليهم مسالمين وقانعين، بينما تمتص الكمبيوترات طاقتهم البيو-كهربائية".

**

كانت أحلامي تتمثَّل لي أكثر فأكثر كأنها حقيقة.. كنت أتخبَّط بين الواقع والحلم.. كان يلتبس عليَّ الأمر كثيرا.. سألت موني مرة عن الحدِّ الفاصل بين الواقع والخيال.. أو هل مات الواقع تماما كما كتب جان بودريار؟

كانت موني تعلمني ما لا أعلم.. وجهة نظرها للأمور كانت مختلفة.. وبغض النظر عن مدى اقتناعي بها من عدمه، كانت دائما مثيرة للاهتمام.

قالت: ما المهم جدًّا في التفريق بين الواقع والخيال؟

- يوسف: ماذا تقصدين؟
- موني: أقصد أن ولع الإنسان بالواقع وتقديمه تفاضليًّا على التوهُّم هو جنوح لكلاسيكية في الوعي. ربما حنين

fb/mashro3pdf

لعصر كان الوضوح سيده ومسيّره. ثم أليس الخيال أحيانا هو جنة الناس ومسكِّن بقائهم وعاصم أجسادهم من الانفجار؟ أملهم لأنفسهم بأن الأمور سوف تتحسن، وما يوعدون؟!

- يوسف: بوضوح أجبيني، هل تعتقدين أن الواقع قد مات؟

- موني: هناك أساس فلسفي طبعا لتطور إشكالية الواقع.. أساس مرتبط بالسيرورة.. خصوصا عند هيجل الذي يعتقد بأن الواقع متماهٍ مع المطلق. ومن ثمَّ تصبح جميع الأحلام اليوتوبية متحققة على أرض الواقع. أما نيتشه فبقلبه للأفلاطونية كان قد أنهى التراتبية التفاضلية في الذهن بين الحقيقة والخطأ من جهة، وبين الواقع والخيال من جهة أخرى. مع نيتشه إذا، تضخَّم مفهوم الحقيقة ليشمل الوهم والخيال وكذا الاستعارات، نفس الشيء بالنسبة للواقع الذي اتسع ليشمل هذه العناصر بالإضافة إلى المستقبل؛ إذ اعتبر الواقع جريانا وتدفقا لا نهائيًّا.

- يوسف: إذًا هل يمكن الحديث عن نهاية الإنسان ككائن واقعي؟

fb/mashro3pdf

- موني: ربما، خصوصا إذا نظرنا إلى أن الحياة البشرية في الوقت الحالي أصبحت تُحاك في العالم الافتراضي ومتحكَّم بها من طرف الصورة عبر وسائل الميديا. وسيستمر ذلك في التضخُّم طالما أن غالبية الناس أصبحوا يفضلون قضاء وقتهم في واقع محاكٍ على الإنترنت. إننا أصبحنا واقعيين أكثر فأكثر، بل إننا نعاني من قدر زائل ومبالغ فيه من الواقع..

- بهذا المعنى نفهم بأن القول بموت الواقع ليس إلغاء له، بل هو توسيع لدلالته لتشمل الوهم والزيف والافتراضي والمصطنع، وهذا ما أدى إلى انهيار مبدأ الواقعية المبني على فصل هذه العناصر وعزلها عن الواقع.

- يوسف: أفهم أنه يمكن أن تكون هناك أزمة في مفهوم الواقع، لكن هل يدعم العلم ذلك؟

- موني: طبعا، تتعرض العلوم الحقَّة لأزمة بنيوية رهيبة تضرب الأسس التي قامت عليها أصلا، وخصوصا الفيزياء. حين تم خلخلة هذا الطابع اليقيني الموضوعي الذي ساد تصورنا العلمي لمفهوم الواقع. بحيث أن مع بروز الهندسة اللا أقليدية مع كل من ريمان

fb/mashro3pdf

وتشوفسكي، ومع البراهين والدلائل والمنجزات اليومية التي تقدمها ميكانيكا الكوانتم وتضعها أكثر فأكثر في صدارة الضوء والبحث، تبيَّن أن العلم لم يكن يدرس الواقع كما هو كائن، بل كان يدرس الواقع الذي افترضه هو وسلَّم به، معتقدا أنه الواقع الموضوعي اليقيني والحقيقي الوحيد.

- يوسف: تحكين عن عالم مخيف، مروع كأسوأ أحلامي.. عالم بلا يقين بلا حقيقة.. عالم مفبرك مصطنع احتمالاته على الورق.. انهارت فيه معاني الأشياء.. ما الواقعي؟ وما الخيالي؟ ما الحقيقي؟ وما الزائف؟ لكم يشعرني ذلك بالحزن الشديد..

- موني: بالعكس يا يوسف يشعرني ذلك بالفخر.. إن الناس بدأت تعي احتمالات الأمور. في السابق كان البشر يشعرون بكبرياء مقيت.. يشعرون بأنهم مركز العالم لا بل الكون كله.. كان المطلق يجثم على صدور الناس كالمرض المزمن.. كان يعمي عيونهم وأسماعهم ويطلق لهم عنان الدمار.. اليوم واليوم فقط يشعرون بالضآلة.. يشعرون بالشك ويضعون الاحتمالات. لمن

fb/mashro3pdf

يحب ذلك: لدينا عالم جديد، عالم من احتمالات وحبر وسكر. وهي تضحك بشكل غامر.

- يوسف: لكن ألا ترين أن عالمك الجديد هو مجرد تغييب آخر في مطلق جديد من الشك وعدم التيقُّن والاحتمالات؟ أردنا العلم.. لكن ربما تحصَّلنا في النهاية على تطوُّر حسابي معقَّد للميتاحكايات البسيطة..

- موني: فكرت مليًّا للحظات ثم قالت: اعتبر ذلك كآثار جانبية.. لكن إلى أي درجة سيكون ذلك سيئا؟! ها..

- يوسف: إلى درجة أننا قد ضللنا أنفسنا تماما.. إذا انتهى المطلق وتماهى الواقع مع الوهم وصارا شيئا واحدا فربما ينهار كل شيء ويغلق المزيد من الناس أبوابهم عليهم مفضِّلين التحدُّث إلى الحوائط والوسائد.. سيدفعهم ذلك للجنون المطلق يا موني (ويضحك بصخب ويأس).

ويتابع:

- ثم إنه لو حسبنا أن التضليل يعتمَّد التصنع، سيجعل ذلك من إمكانية التميز في الفن مثلا بين الجميل والقبيح أمرا صعبا، ما يجعل من الفن مجرد آلة لتحويل الابتذالية والسطحية والتفاهة إلى استراتيجية بقاء.

fb/mashro3pdf

- موني: أكثر من ذلك يحدث فعلا، في السياسة: لقد انخرط الجميع في لعبة الإبهام والاصطناع فلم تعد هناك حدود سياسية واضحة بين اليساري واليميني.. فالحدود التي صنعتها الأيدولوجيا هدمها الاصطناع بسهولة. الأخلاق أيضا أضحت مصطنعة، فلم نعد نتحصَّل على معيار أو مقياس أو مرجع أنطولوجي أو ضوابط أخلاقية نهائية أو يقينيات دينية تصلح للتمييز أو رسم الحدود بين الأشياء.

- يوسف: سيفضل المزيد من الناس عدم التخلي عن العالم القديم يا موني.

- موني: .. هل ذلك سيتوقف على آراء الناس؟ إنه يحدث.. حتى لو رفضوه يحدث.. حتى لو شعروا بالحنين لما سبق يحدث.. إنهم جزء أصيل من المحاكاة والتصنع. حتى وهم يجاهرون على ذلك بالسب.. كل ثانية تقضيها بداخل السيمولاكر يصبح معها الفكاك منه أمرا في غاية الصعوبة. نحن أمام سيمولاكر غاية في القوة والنضج.. اصطناع شامل يلغي الحدود بين الحقيقي والمزيف.. الصواب والخطأ.. يقرب المتناقضات من بعضها حتى تصبح منغمسة بالكامل فيه.

fb/mashro3pdf

إذا رأيت وردتان واحدة طبيعية والأخرى مصطنعة.. ربما المصطنعة منظرها أجمل، ألوانها أزهى.. ربما تنتج رائحة أنفذ. لو وقفت إلى حافة النهر ناظرا صفحة المياه الرائقة وإلى عشرات الأفدنة من الزرع الأخضر، أو وقفت جانب الشاشة، أو خرج ما بداخل الشاشة ليقف إلى جانبك، ستكون مغروسا في نفس صورة النهر والزرع، بل أكثر.. هل تريد أن تغطس في قاع النهر بدون أنبوبة أكسجين وتخرج دون أن تبتل ملابسك؟ السيمولاكر سيفعل أي شيء ليثبت وجوده.. عندئذ سيعود التفريق بين الطبيعي والاصطناعي غير مهم.. ستتساوى القيمة في ذهنك، بل ربما يصبح المصطنع أكثر قيمة عندك.

- يوسف: سيمولاكر.. (ويبتسم بأسى)
- موني: السيمولاكر هو المصطنع، وخاصيته الأساسية أنه فرع بدون أصل، والأصل هنا قد يشير إلى المرجع أو المصدر أو الغاية.. لذلك فعبارة "موت الأصل" تشير بشدة إلى انهيار المرجعيات الكبرى والغايات المثلى والإيديولوجيات والميتاحكايات..
- يوسف: لو مات الأصل، فهل يتبقى لنا أي صلة به؟

fb/mashro3pdf

- موني: ألا ترى حولك! العالم أصبح نسخة نقلا عن نسخة نقلا عن نسخة بدون أي أصل محدد.. وفي الوقت الذي غاب فيه الأصل واحتجب، احتلت الصورة ثنايا النسج، والصورة وحدها تؤدي الممارسة الساخرة للغياب.

- يوسف: ماذا علينا أن نفعل الآن يا صاحبتي؟

- موني: ربما علينا أن نسير في الغياب، وكررتها مرات عدة..

- يوسف: تعب يصحبني في المسير.. وفي المسيرة أتفتّت بالتدريج كأن تذر حبّات رمل في الهواء.

- موني: قالت بتجاهل واضح: ظل الإنسان يا يوسف يحلم بالغياب رغما عن رغبته المعلنة بالحضور.. لا يمكن للإنسان أن ينكر سعيه الحثيث نحو الغياب.. مع كل ألوان الحبوب المخدرة.. مع كل الارتعاشات الليلية الرديئة.. ومع أنهار الخمور التي يستهلكها الناس، لم يكن السعي نحو الانعدام بقدر ما كان تسبحة لتحضير الغياب..

**

fb/mashro3pdf

(7)

التاسعة والنصف مساء

تأخذني من يدي،أقول لها إلى أين نذهب؟

لا تسأل.. لا تسأل.

ندلف إلى شارع جانبي في مصر الجديدة.. واحد من تلك الشوارع الهادئة المتسعة التي تظللها الأشجار الكثيفة وتدافع عنها الملائكة في ظلام الليل بشجاعة.

الأسانسير قديم وضيق بحيث بدونا أنا وهي متجاورين بشكل غريب.

دخان الحشيش يتسرَّب من تحت الباب.. ندخل إلى عالم من غرابة.. تغلف أجواءه أدخنة الحشيش والمخدرات.. تلهب أفكاره حرارة الخمرة.. يعتصر الجنس ويقدمه مجانا مع نغمات موسيقى الأندرجراوند.

يسرا دعتني.. عندي مشكلة في التواصل والانخراط في جماعات الناس.. هي أكثر اجتماعية مني، كأن تعرف كل من خطا وسط البلد أكثر من مرتين.

fb/mashro3pdf

وسط البلد ملاذ من يبحث عمن يشبهونه.. ملجأ الذي عرف فاختلف عن الجاهلين. هناك حيث يتجرَّع رفاق الدرب والضرب الفشل والنظرية مخلوطة بمرارة الخمرة المحلية الرخيصة..

المكان شبه مظلم إلا من نور أزرق خافت يسري في صالة الشقة القديمة الطراز.. غبار الأدخنة يكفي لثقب الأوزون أكثر من مرة.. ويكفي طبعا لثقب أي روح هائمة في الجوار.

تتجمع أشباح الشارع على الشرفات.. تختلس النظرات من بين فراغات الستائر.. ما قد يمكِّنها أحيانا من تنشُّق متعة مسروقة من مساحات الوحدة.. آخر ما يمكن أن تفعله لقتل الملل بعدما بصقت الكآبة على وجوه الموظفين الكالحة ومسَّت صدور بنات الجيران على عتبات السلالم المكسورة فسكبت الشهوة خالصة على أجسادهن.

نجلس معا على سجاد الأرضية الوثير.. هناك بجانب الرفقة البادئة في الثمالة.

ريم ترتعي في حضن شخص ما لا أعرفه.

وبنتان أخريان على طرفي الصالة في الأرض، واحدة منهما تلعب مع طفل صغير عمره 4 أو 5 سنوات.

fb/mashro3pdf

- يسرا، هو ينفع ولد صغير يكون موجود في قعدة زي دي.. قالت: لو أمه شايفة إنه ينفع إحنا هنعمل إيه؟!

والأخرى موني.

عرَّفتني عليها يسرا ذات مرة. موني الفتاة الفرنسية المثيرة التي جاءت إلى مصر لدراسة الفلسفة والتاريخ.

لأول وهلة سيعجبك مدى جمالها الغربي وثقافتها الواسعة. ثم أنها كانت تتحدث الفصحى ببلاغة كبيرة. دارت بيننا أحاديث قصيرة في كل مرة رأيتها فيها. ثم توطَّدت علاقتنا أكثر في الفترات التي أصبحت يسرا فيها معتادة الغياب.

أسلم على باسم.. يتزايد سخطي على الناس باطِّراد، فمن كل مجموعات وسط البلد لم أعد أحترم إلا يسرا وباسم.. هو طبيب شاب من عائلة ميسورة.. كان ملحدا فترة ثم عاد.. مال على أذني مرة وقال لي هامسا وهو يرتجف: يوسف، كنت بسمع ربنا في وداني بيقول لي: ارجع..

ثم رجع باسم وأسس مع صديق له جماعة دينية سرية أقرب للمسيحية.. اسمها الرائين.. تعتقد أن الله يتواصل بشكل شخصي مع الإنسان بالاختبار الفوقي الذي قد يشمل الرؤية أو

fb/mashro3pdf

السماع أو الحضور أو السحب (تجربة شبيهة بمن قالوا بأنهم اختطفوا فضائيًا) أو بأي طريقة أخرى.

الذين يعتقدون في أن اللاهوت قد كلَّم موسى على طور سيناء فعلا لن يجدوا صعوبة في تصديق باسم.

هناك أيضا رضوى.. أعرفها من الفيسبوك لكنها مشهورة في وسط البلد. بشكل ما لا أحب الاتجاهات النسوية التي تعادي الرجال.. خصوصا نمط مبتذل من فيمنست مصرية ممتلئة الجسد - عكس ما نرى في الغرب - تجلس بيننا بحمالات صدر ضخمة كرضوى.

عندما تراها تفكر بأنه ربما تنبع كامل مسألة الفيمينزم من حالة عدم استقرار هرموني.. عملية تبادلية من الهياج الجنسي والإفراز الزائد للإستروجين تتسبب لنا في عرض مستمر من العدوانية على الشاشات وفي مواقع التواصل.. هياج وفيض إستروجين تحيل الهالة إلى فيمنيزم وسواد شديد، أو كما يظهر من نصف صدرها خارج الحمالة.

- يسرا، هو مين اللي لاصق في رضوى ده؟

- ده إياد.

fb/mashro3pdf

- هي سابت اللي كانت في ريلاشن معاه من يومين على الفيس؟!

- دي فيمنست يا بابا يعني ما يتَّاخدش عليها أوي (وتضحك بخبث).

- ومين اللي حاضن ريم ده؟

- لا ده ما اعرفوش.. شكله جديد هنا

- تعرفي باسم صح؟

- أنت لحقت تسكر؟ ده تقريبا صاحبك الوحيد مش هعرفه إزاي؟!

**

تتبدَّى على يسرا ملامح الفرحة.. شيء ما بين الفرحة والاستثارة الخفيفة.. تنتظر أن تغيب طويلا.. تجادلنا مرارا في مسألة ولعها الشديد بتدخين الحشيش.. قالت لي: يوسف، الحشيش اتخلق للبنات عشان يتحمّلوا خرة العيشة هنا، ومش لأنك مش بتحبه يبقى أنا كمان المفروض إني ما احبوش.. وجهة نظرك في الحشيش حاجة شبه هو أنا ازاي مراتي وأم ولادي تبقى حشاشة ! بس أنا مش مراتك ولا أنا أمك.. فاحترم وجهة نظري.

fb/mashro3pdf

كان يخالطني شيء مما قالته فعلا.. لكن ذلك لا يصلح للمجادلة به، كنت أدافع بنقطة مضار الحشيش.. تعرفي إنه بيأخَّر عقليًا.. بندخل بقى في دايمنشيا وألزهايمر على مدى طويل. كانت تعرف ما يمسني من عدمية فلم تقتنع بسهولة بخوفي من المرض.. كنت أخاف فعلا عليها.. لكنها كانت عنيدة.

فيما مضى حاولت تدخين الحشيش.. حاولت أن أفهم سرَّ شهرته في البلد، وأن أكشف حقيقة ما ينسج عنه في حكايات الأصدقاء.. في كل مرة كان ينتهي الأمر بشبه كارثة.. في آخر سنة بالكلية دخنت سيجارة حشيش قبل امتحان الشفوي وتقيأت أمام دكتور مادة السموم.

يتملكني في العادي إحساس متفاوت الدرجة من الغثيان.. أشعر برغبة حادة في التقيؤ كلما أثار سخطي شيء ما.. في كل مرة دخنت فيها الحشيش رغبت بشدة في البكاء والتقيؤ على العالم.. حتى انقطعت عنه تماما.

أعطت ريم ليسرا سيجارة.. كانت تدخن بشراهة شديدة.. كانت تسحب كل المخدر إلى صدرها وجوفها.. كانت تنظر إلى دفقات دخانه الأزرق المتطاير عنها بفقد..

يسرا الآن تلامس شيئا ما من العدم.. بخضوع.

fb/mashro3pdf

أشعل سيجارة وأتأملها.. تدور رأسها بخفة.. تدندن مع صوت الشيخ إمام عيسى ب"شيد قصورك على المزارع".. الجميع مفتون بوطنية إمام ونجم.. لكن من الأفضل أن تنسب الوطنية إلى حسن النوايا.. ذلك لأن الوهم قد أكلنا جميعا.. كان تكراره لمقطع والنصر قرب من عنينا ملحميًّا.. كنا نغيب جماعيًّا والنصر أقرب من عنينا.. وبينما اليسار مستمر في التخدُّر بالعود والتكرار وانتظار النصر، كانت 40 عاما قد مرَّت على الأغنية.

**

تسأل رضوى يسرا بخفة: هو ده حبيبك اللي مصدعانا بيه؟

- ده يوسف.. تجيبها.

- نورت يا باشا.. تقول لي.

ثم تسألني رضوى: شايف الوضع الحالي في البلد إزاي يا سي يوسف؟

- وجهة نظري هتفيد يعني؟!

- لا، بس عاوزة أعرفها.. أنت نزلت في الثورة؟

fb/mashro3pdf

- آه.. نزلت محمد محمود، كنت واقف في النص بحدِّف طوب مع الناس على الشرطة ومع الشرطة على الناس.

- ها!! قالتها بعنف.. تتدخل يسرا وهي لا تملك نفسها من الضحك: يوسف أخد خرطوش في رجله لسه معلم فيه..

تنتظر مني فيمنست ثورية حديثا رثائيًّا عن ثورة مفقودة بين ممرَّات وسط البلد وتائهة بين أصداء أصوات الهتافات.. تنتظر مني خطبة عصماء عن النضال الثوري والدم المقدَّس وإسقاط النظام ورفاق الدرب وعرق الغلابة وباقي إفرازتهم العضوية.. لا تنتظروا مني أي شيء.. نزلت الثورة لقتل الملل.. جئت هنا هربا من هناك.. ليس أكثر من ذلك.

كان الولد الصغير يدور في المكان.. كان يلف في نصف حلقة ثم يتوقف عند طرف الصالة مشيرا إليَّ بيده.. لم يكن يضحك.. لم يكن يلعب.. بدا لي وكأنه يؤدي طقوس ممارسة سرية ما، أو ربما كان منتشيا من رائحة المخدر.

وقفت ريم في المنتصف وأخذت تميل جسدها رقصا مع الولد.

fb/mashro3pdf

ثم قامت موني لتشترك في الرقصة.. بدت ناصعة البياض. كانت ترقص بشكل مضحك. كأن تجمع بين تحريك الوسط في الرقص الشرقي وأناقة خطوات القدمين في الغربي. تركت ذراعها بلا ضابط كحركة الموج. بدا جسدها شاهقا ومثيرا وأنا جالس على الأرض.. نظرت إليها يسرا بتطلُّع.. كان عندي شغف رؤية الأشخاص والأشياء بعين يسرا.. تفحَّصتها طويلا ثم لوى وجهها عن بسمة خاطفة، ثم أخفضت رأسها قليلا إلى الأرض حتى غطى شعرها الطويل كامل وجهها.

أتانا صوت التوني مجلجلا. إن ذلك لا يوصف. تمنيت أن ينتهي الزمن عندها.

أن ننعدم وينتهي كل شيء. بجوارها وأنا أمسح على شعرها وأتلمس يديها.. عند هذه اللحظة بالذات ونحن سكارى من العشق والخمرة والموال:

ناديت ياللي تداوا الناس داووني

هاتوا دوايا من حبيبي وداووني

ياااا ياااا يا حبيبي

fb/mashro3pdf

وين وين وين.. كان التوني في الموال يسأل عن توما ويوحنا وآخرين.. سأل عليهم كثيرا.. ذهب التوني أخيرا إلى أهل الكرم وبقي سؤاله هائما في النسج.

قامت يسرا لترقص. بان عليها التعب لكنها انسجمت.. دعتني: خليني، هتفرج عليكي..

يسرا ترقص والكل الكل محبة.

وخصرها يصرخ على حجري وصوتها يهمس في أذني: تذكَّرني يا حبيبي.

بدأت رضوى بتقبيل من كانت متكئة إلى كتفه.. قبلته بشهوة وعنف أمام الجميع.. يبدو الشاب أضأل منها حجما.. أتخيل أنها سوف تحمله وترميه على السرير حتى تتكسر عظامه بعد أن تفك عن رقبته السلسلة الحديد التي كانت تجره بها كالكلب.. يمكن للماركيز دو ساد أن يرتاح الآن.. الشاب يأخذ بالتضاؤل أمامها.. أو تأخذ رؤية عيني في الاتساع.

بحثت عن باسم فلم أجده.. ربما رحل.. ربما اختطف.. كان كثير الغياب.. كان يأتي ويرحل سريعا بدون تكلُّف كأنه طيف من نور خفيف.

fb/mashro3pdf

لما انتهى الموال.. سألتني يسرا عن موني،

- إزاي مش عارفاها.. أنتي اللي معرفاني عليها!

- طب والبنت التانية..

- لا. لما نفوق اسألي ريم هي عارفة الكل.

.. لا نعرف أيضا من يكون الطفل الصغير.

يدخل خالد لتوّه محملًا بأطباق الكشري والفودو.. يأبى الكشري أن يترك محافل الرفاق.. كأن تطير وراءهم أطباقه بالمشوار من وسط البلد إلى السجون إلى هنا. الكشري في رحلة بحثه عن الهوية في المطبخ يتحرق مع الثورة كل مرة.

Voodoo

أو التعويذة: مخدر جديد نسبيًّا يتم تعاطيه عبر التدخين ويحتوى على الأتروبين، والهيوسين، وهي مواد مخدرة قوية جدًّا تستخدم لترويض الحيوانات الوحشية. يسيطر الفودو على الجهاز العصبي بشكل كامل ويقتل ملايين الخلايا العصبية. يمكن اعتباره بشكل مجرد جزار الجهاز العصبي وكابوسه الأكثر رعبا.

كان خالد طالب الجامعة الأمريكية - عبر أبيه رجل الأعمال ومحتكر صناعة تجميع السيارات - متعهّد توريد هذا المخدر

fb/mashro3pdf

لجماعات الشباب في وسط البلد والأحياء الأرقى. أو بحسب ما تم تداوله بيننا في ذلك الوقت.

كان شيوعيًّا مهووسا وكان يتمنى يسرا أيضا.. رأيت ذلك في سلامه عليها ونظراته لها مرارا.

يسألني خالد بخفة والكشري يسيل لعابه: يوسف هو أنت اتجاهك السياسي إيه؟

- إنساني؟
- لا أقصد يعني يساري أو يميني أو ديني؟
- أنا مؤمن بالحب.. ممكن تعتبره اتجاهي السياسي.
- الحب.. آه.. بس الحب ده ما يصلحش كسياسة عامة لإدارة البلد.
- ..... صمت.
- يعني مالكش تفضيلات معينة.. اقتصاديًّا حتى!
- بشوف إنه اليساري واليميني والمؤمن والملحد والكل وقع تحت عبودية وسطوة المال والاستهلاكية.. أي كلام عن اتجاهات سياسية واقتصادية معينة مش من ضمنها

fb/mashro3pdf

محاربة الجشع والنصب والاستغلال ووقف الترويج للجهل والتفاهة هيكون بلا أي معنى.

- كلام محترم وأقرب للشيوعية.. ما تيجي تنضم للتنظيم عندنا!

- ها ها ها شكرا، مش بفضل التنظيمات والأحزاب.

تقاطعنا يسرا ساخرة: يوسف مش اجتماعي أوي يا خالد.

أستغرب فعلا من معاداة طلاب الجامعة الأمريكية بالذات لأمريكا التي أنشأت الجامعة، ثم للرأسمالية التي خلقت أمريكا وعبأت جيوب آبائهم بالأموال الباهظة لدخول الجامعة، ثم عبَّأت جيوبهم بالآي باد والفودو، وحمَّلت أيديهم بالغرور والقدرة الشرائية، وأعمت قلوبهم بشعارات سياسية بليدة لا تصلح إلا للاستهلاك في غرف نوم المراهقات.

أستغرب من اشتراكية لطيفة، لا تشترك فيها مع أحد..

من شيوعية تدخن المارلبورو وتشرب التشيفاز وتركن الBMW صفًّا ثالثا في الشارع.

من برجوازية حلبت الفقراء في الصبح ثم تباكت على البروليتاريا ليلا على الأرصفة وفي جنبات المقاهي الرخيصة.

fb/mashro3pdf

- تسألني ريم بشغف: يوسف، شايف البلد محتاجة إيه؟

- مش محتاجين حاجة يا ريم.. مش شايف إنه أي حاجة هتنفع معانا.

- يوسف.. وحياتي قول اللي أنت بتفكر فيه.

- إحنا خربانين.. وأبعد تصور سيئ عن الوضع العام، إحنا بعد منه، إحنا خربانين فشخ..

- يعني مفيش أمل؟ وتضحك بدلع وهي تسحب نفس سيجارة الحشيش الأخير.

- هو حتى لو فيه.. إحنا بنعمل أي حاجة تجاهه يعني؟

- ..... تطرق ريم بحزن محبب.

- ممكن نبدأ بالتعليم، تعليمنا الحالي مش بس آلية منظمة لتدمير الوعي الشخصي والعام، واحتقار العقل والمنطق، وتحويل العلم لعبء تقيل وسلعة غالية مزيفة في أكشاك الدروس الخاصة، لكنه بيئة ممتازة لتخليق شخص منتهك نفسيًّا ويحمل في صدره كل الكراهية والحقد على الآخرين. كمان مسألة توجيه الوعي بالتلقين والحفظ واللي بيتوجّه غالبا في اتجاهات

fb/mashro3pdf

متخلِّفة بتكرِّس الاعتداد بالمطلق المكتوب في نموذج الإجابة، وعدم احتمال نسبية صحة أي إجابات أو تفكير مختلف بره المنهج، ده كمان خطر جدًّا على الدولة، كأنها بتقطع شراييها ببطء.

التعليم بالإضافة للحرية والعيش والكرامة والحق في تحديد المصير الفردي..

- إيه تاني، احكي معايا؟ تسألني برقة..

في الوضع العادي ما كنت لأتحدث في أي شيء له علاقة بموضوعات مثل البلد أو الأمل أو الحاجات والأولويات، لكني وجدت عندي طاقة ورغبة في الحديث على أثر الخمرة وفوران ما يظهر من ريم..

البلد والتعليم والثورة والحرية: رثائية لطيفة للحكي على بوابات المطارات واستراحات السفر وعلى سلالم الطائرة وعند عتبات حانات نيويورك وبين ضفاف البحيرات الأيسلندية وفي أحضان بنات السويد.. مصر ستكون جميلة في عينيك فقط وأنت بعيد.. ربما تفتقد الخرة لكنه بالتأكيد لن يتذكرك بالخير.

fb/mashro3pdf

أتخيل ريم.. بصوتها الناعم الرقيق، ريم تبدو مثارة.. الحمرة تجتاح بياض جلدها من أثر ما رفعته.. دخلت ريم من زمن في الحلقة الدوارة في وسط البلد.. هل تعرف عن الحلقة الدوارة؟ عموما ليس من سمع كمن رأى.

أشعل سيجارة وأجيبها والخمرة بدأت ترخي أعصابي:

- بشكل ما حصل تماهٍ بين الليبرالية والسياسة الرأسمالية الحاكمة لكل دول العالم حتى للدول اللي بتصنَّف نفسها تاريخيًّا على أنها شيوعية.. ده أدى في النهاية إلى أن الليبرالية فقدت كل القيم الكبيرة اللي قامت على أساسها. مثلا: الحرية أصبحت حرية البيع والشراء، والتعددية أصبحت تعدد موضوعات الاستهلاك، والعدالة أصبحت السعر المناسب للشراء، والمشاركة أصبحت اشتراك في نوع الاستهلاك، والانتماء أصبح انتماء لشريحة استهلاكية معينة بتحدد مكانتك ومستواك الاجتماعي، والمساواة تحولت من مساواة حقيقية للأفراد أمام الفرص على أساس الكفاءة، لمساواة شكلية للأفراد أمام موضوعات التملك والرموز المادية.. حتى أهم قيمتين في الرؤية الليبرالية تم تدميرهم تماما لصالح الرأسمالية والاستهلاك.. فالفردية

fb/mashro3pdf

أصبحت مجرد سعي لنيل موافقة الناس وكسب رضاهم وما بقتش قيمة مطلقة في ذاتها بقدر ما ضاعت بين حلم الثراء وقيود الالتزام الوظيفي..

أما الحرية اللي وعدت بيها الليبرالية بشكل كبير في بدايات العصر الصناعي فربما كانت مجرد حيلة لتفكيك ارتباط الفرد بأي كيانات اجتماعية قديمة زي الكنيسة أو الأسرة أو المذهب أو الطايفة أو الفكرة، والانخراط في العمل كأجير داخل المنظومة الرأسمالية.

دفعني شغفها بسماع الحديث إلى الاستمرار في الكلام، وكانت الرفقة قد بدأت في الغياب التام. أحسست بخدر لطيف يسري في عروقي من شرب البيرة، وأثر روائح المخدرات، والموسيقى الصاخبة.

- ريم، عارفة الفكرة في إيه:

الاستهلاكية خلقت عند الإنسان حاجات ثانوية لا نهائية وده اللي بيحصل لما بتنتج كم ضخم جدًّا من المنتجات لإشباع حاجة أولية واحدة بس.. فمجرد ما بتشبع حاجة ثانوية عندك بتتولد جواك ألف حاجة قصادها، والسبب في ده بيرجع لأنه الحاجات دي لا تشبع عن طريق قيم استعمالية (بمعنى أنا عندي

fb/mashro3pdf

حاجة معينة فاستعملت منتج معين لإشباعها وخلصنا)، لكن من خلال قيم تبادلية (بمعنى إني استعملت منتج بادلني رمزيًّا قيمة معينة ما وقفش بس لحد إني استخدمته)، السلع أصبحت تستهلك بسبب اللي بتدِّيه للإنسان من رموز ومكانة اجتماعية معينة في محيطه مش لمدى حاجته الأولية لها من عدمه.

- يعني بتشوف إنه الرأسمالية كلها شر؟

- لا طبعا. مفيش حاجة كلها شر، في النهاية هي الاختيار الاقتصادي اللي فضله الناس والحكومات وكان له أكبر أثر في ثراء المجتمعات الغربية والتقدم العلمي والتكنولوجي.

كانت يسرا نصف نائمة على حجري، بينما انشغل خالد في الحديث مع رضوى وإياد.. اختفى أيضا الشاب الذي كان بجانب ريم، فيما أخرجت أم الطفل صدرها وأخذت بإرضاعه (أستغرب من أنها لم تفطمه بعد)، وبقيت موني ساكنة كلوح.

الملح.

يقاطع إياد الحديث ويقول وهو شبه مخدَّر:

fb/mashro3pdf

- الحرية الجنسية هي أهم قيمة أنتجتها الليبرالية، غير كدا تفاصيل ملهاش أي لازمة.

- أجيبه: أنا مش ضد الحرية بالمفهوم الواسع، لكن حصل توظيف لمبدأ الحرية. اللي بيتقال حاليا في الغرب وبين طبقات المثقفين هنا أو على قهاوي اليسار في وسط البلد إنه الجسد لازم يتحرر.. الجسد الإنسانى غير آثم.. الجنس حاجة غريزية ولا يحتاج لأي قانون تنظيمي.

حرية المرأة بتبتدي بحقها في الاستمتاع بجسدها بأي طريقة تشوفها.. لازم نكسر السلطة الأبوية.. المرأة لا تورث من أبيها لزوجها. تمام! لكن في الطريق لكل الشعارات الرنانة دي قول لي كام حد قلبه اتكسر.. كام ولد وبنت اتدمَّروا نفسيًّا وشعوريًّا واتفشخ واقعهم ومستقبلهم وما كانش ليهم أي خروج من اللي حطوا نفسهم فيه، أو أي إمكانية للرجوع لحياتهم السابقة..

وأتابع الحديث بحدة وأنا أسحب نفسا عميقا من سيجارة أشعلتها للتو:

- كام حد حب بجد لكنه اتساب في السكة يموت لأنه اللي حبه ما حافظش على الوعد وما كانش فيه التزام

fb/mashro3pdf

أو تنظيم معين للعلاقة.. أنت ممكن تتخيل إنه كل الناس زي بعض وكل الناس تقدر تنسى one nightstand لمجرد إنهم كانوا سكرانين بالخمرة والفكرة.. لكن لأ، مش كل الناس تقدر تهاندل العلاقات المادية المجردة فشخ دي.. وممكن ساعة واحدة مع اللي حابُّه تتكرر مشاهدها في عينك سنين، ويدور حنينها في قلبك طول عمرك، ويستقر وجعها في صدرك لحد ما تموت.

يرفع خالد صوته محتدًّا عليَّ بعنف:

- أنت جاي تعمل علينا فاهم وبتنظِّر خرة؟ ها! ومش عاجبك حاجة ليه؟ مفكِّر نفسك مين؟ لو إحنا مش عاجبينك قاعد معانا ليه؟ ولو الأفكار كلها مش عجباك ما تروح تموت..

أرد بهدوء:

- أنا ما كنتش بكلمك أنت.. وأنا مش قاعد هنا في مكانك.. صح؟

fb/mashro3pdf

يبدأ في وصلة سب غير واضح، بينما تحاول كل من ريم ورضوى تهدئته، في حين تحاول يسرا كبح ردة فعلي: يوسف بس، ما تردّش، هو ضايع خالص مش عارف بيعمل إيه..

يحاول خالد القيام من الأرض لكنه يفشل في حفظ توازنه ويسقط ثانية.. فيتلقَّف زجاجة بيرة نصف ممتلئة كانت إلى جواره ويقذفها عليَّ لكنها تخطئ وجهتها وتصيب الولد الصغير الذي ينسال الدم من رأسه ممزوجا بالبيرة والدخان، فيفقد وعيه دون كلمة، تتركه أمه وتضرب خالد المستسلم لتلقِّي ركلاتها وبصاقها وهي تسبه بمزج صاخب من الشتائم، بينما يدخل إياد في نوبة من الضحك المتواصل وهو يصرخ بتقطع: أحا، الواد اتفشخ بيرة، أولَّعلكم فيه بالمرة! هاها..

**

كانت الليلة قد انقلبت في ثوانٍ معدودة لعبثية لم أتوقعها.. نجا الولد بعدما هاتفت باسم وجاء ليأخذه بسرعة إلى المشفى الذي كنا نعمل به.

كانت آخر ليلة أخالط فيها الناس بشكل قريب.

**

fb/mashro3pdf

يسرا كانت ترقص، وخصرها يصرخ على حجري وصوتها يهمس في أذني:

- تذكرني يا حبيبي.. أنا كنت هنا ورقصت عند حافة قدمك رقصت هكذا.. على موالك المفضَّل تمنَّيت أن أعجبك كما كنت تعجبني، وأن أثير انتباهك للأبد وحركت يدي على مفرق صدري، هكذا.. حتى لا تفقد شغفك، وشعري أسدلته على وجهي كالليل وكبنات الكورد والفجر.. أنا كنت هنا.. كل ما فعلته، فعلته من أجلك، حتى ترضى.. لقد شغفت بك حبًّا فلا تنسى.

**

fb/mashro3pdf

(8)

أغسطس..

من يرفع عنا المرارة التي في حلوقنا؟ من يداوى الجروح الغائرة؟ شخص ما.. قوى ما.. إله ما؟ من يشفينا شفاء نهائيًا.. براء أخيرا لا نمرض بعده؟ من يستحق ليتورجيا العبادة جزاء حسن صنيعه معنا؟ أم أن الشفاء كنظرة عينها ولمسة يديها وكلمة بحبك.. وهم آخر؟

**

قالت لي أمي: لقد أنقذناك أكثر من مرة.. الولادة كانت متعسِّرة.. لطالما أحببتَ الأماكن المظلمة المخفية عن الناس.. اضطررت أن أدور بك حول عيادة الطبيب عشرات المرات حتى يتم تسهيل أمر خروجك مني.. وقالت: لقد مرضت كثيرا وأنت طفل وأحببت السهر ليلا والوحدة.. لقد أنقذناك مرة من طنانة دخلت إلى فمك وأخرجناها.. هل أخرجوها فعلا؟ طيب لما أحس بزنها ينخر أنسجة مخي؟ أو لعلها استقرت في أحشائي فبات إحساس الحرقة لا يفارق معدتي.. أحس أيضا بأن الدم يهرب مني.. في حربي المقدسة ضد الملل يهرب مني دمي إلى اللا مكان فتخذلني أطرافي ولا صديق يحارب إلى صفي.

أستمر بالدوران حول قائم المنتصف.. حركات دائرية سريعة.. تحرك سريع بلا هدف وملاحقة لسراب ذكراها.. الأرض

fb/mashro3pdf

تجرى دائريًّا حول هدب ثوبها.. والشمس تسأل وسع عيونها عن سر ملء الابتسامة الحزينة على شفتيها فلا تجاب.. ولا أجاب.. ولما أنهك أجلس على الأرضية فاقدا وعيي أو مسترده لا فرق.. وطنين الطائر الحقير لا يزال يعبث برأسي: هل فكرت مرة لما خذلك كل من أحببت؟ يا صديقي.. من التي تتحمل ولدا ابتلع كائنا مثلي ويلفُّ حول قائم المكان بالساعات منتظرا خروجا ثانيا من رحم المعنى؟

**

يوليو

علينا أن نعترف بأن العلاج ربما يكون غير مناسب للجميع.. وبعض الناس من الأفضل لهم أن يظلوا مرضى كما هم.

**

الورق تحت إيدي بيتحرق

والكلام واللسان أصلا عاهرة تبرير لوجود مختل مشوش ملوش معنى..

صوت الكحة بيمد في ضيق نفسك جنة

اسمع هسيس البنت اللي هتقتلك بكره..

الأرض كوكب عجوز.. يتيم.. مريض

fb/mashro3pdf

البراح بيضيق

النظام مختل فاسد

حس الشطط تحت جلدك بيجري

و بيجري كمان في راسك..

والحياة كلها كأن فراشة باهتة سيئة التصميم

مهتاجة لتلقيح سريع.. جربان سريع عشان تلحق تموت وتسلم شفرة مماتها لفراشة بعدها أغمق منها بتسلمها لسايس غبي واقف على ناصية شارع جامعة الدول المفشوخة على خريطة مرسومة بدم مالوش تمن.. مسكوب على ألف مليون صليب منذ الأزل وهكذا..

**

إن شعرك بحر أسود

موجه أسود

وإن العيال المتعلقة برسمك

سمك ميت

وإن الملح حارق.. حرقهم

حتى غسل جلود الضحايا

وإليك لا يقرب..

fb/mashro3pdf

وإن الناس بتتحرق من الجوع
من الحاجة والعدم
ومن جنس غبي.. بليد.. بطعم البودرة في حبوب المهدئ
بطعم الرماد والسم
وبريحة الخيانة والبارود في طلق الرصاص
جنس بليد.. ميت من ألف عام.. بدون روح
معجون في مية تغسيل أموات
وكلنا هنا أموات بنخبط في بعض
و بنمص صدور الحلم بحثا عن المعنى
عن واقع أكثر احتمالا.. وعن مصفوفة وجعها أقل

**

كلنا أموات وأرواحنا مغلية في زيوت الفرايز المسرطنة

ومقدمة قربانا على مطعم الإرادة الأمريكية

روحنا اتغلت واتبخَّرت والبخر ده اتشفط في الهوا

وإذ وهو بيصرخ من الوجع.. جم عساكر الأجهزة السرية واتحفَّظوا على الأثر

ولعلك سوف تستغرب معي كيف - بعد هذا كله - يكون فيه بقية أثر من روحنا؟

fb/mashro3pdf

أو بقية وجع..

لذا فاصرخ معي في الشوارع والبيوت والمعابد

وعلى شاشات المواقع الزرقا

وفي نواصي الطرق السريعة التي تربط متوالية المدن الكبرى

وتفصلها بإحكام عن تجمعات الأغنياء السكنية

أفرجوا عن أرواحنا

إن أرواحنا مأسورة بين ضحكهم وغضبهم

أفرجوا عنها.. وأطلقوها من السجون الحديد

قبل أن تحل على الكل لعنة لن تفك

لعنة ستغلق أفواهكم إلى الأبد

وستمحو أسماءكم من سجل الدنيا..

**

fb/mashro3pdf

(9)

الواحدة ليلا

كان التغييب لأول مرة ممتعا.. كل مرة أخرى كنت أخرج مجروحا.. أنزل من على الأرض.. وزجاجة خمر ما تجرعته منذ قليل تسقط.. ملامح الزجاج المنثور على الأسفلت المكسور مضحك.. الكسر لا يجبر.. الكسر بلا شفاء يا سيدي الطبيب.. سوف أمسك بيديك ونتقدم إلى العدم وتبقى ذرات الزجاج شاهدة علينا.

تقول لي يسرا: أنت بقيت بتضرب إيه؟ أنا خايفة عليك.

أحاول أن أتسرب معها.. الجو خانق وحزين وألف بشري يعتليه بؤس غير مفسر.. هذه امرأة تصرخ بلا توقف لأنها قتلت طفلها الذي كان يصرخ بلا توقف منذ قليل.. التفتت إليَّ وقالت في خفوت هل علينا أن نقتلها ونصرخ بلا توقف.. وهذا رجل أعمى يجلس في الطين عند رأس الزاوية يتسول الحلم..

شفتاي جافة جدًّا في ذلك المساء.. أنا وهي وقطة مسحورة نشعر بالعطش والجوع.. نمر بشوارع مصر الجديدة الجانبية النصف معتمة.. أخبرك شيئا عن مصر الجديدة.. إنها تتصل

fb/mashro3pdf

من تحتها بمجموعة من السراديب السرية التي تشكل متاهة لا نهائية تحتجز آلهة العالم القديم: الأوليمب والفراعنة والكائنات التي كشفت للسومريين الحضارة، كلهم هناك.

أخبرك عن حي نصفه مسكون بالأرواح الهائمة.. عن ولد قلبه مكسور يتمشَّى هناك وحده ويتحسس بيده أسوار البازليك.. عن بنت تبيع الورد على ناصية الإشارة وهي تعقد شعرها كذيل الحصان.. عن حصان أسمر يجري بخفة في الممرات التحتية باحثا عن مخرج من كل هذا.. كنا نغني أنا وهي ونحن ندور في الشوارع كدراويش الأضرحة.. كنا نتمايل في الرقصة ونحن نردد أبياتا للأبنودي:

نطلق زفير الحزن.. في النفس الأخير

ولا الشاشات بكيت ولا المذياع أذاع

فاكشف غطا وجهك ومزق القناع

بلا حكومة بلا رئاسة بلا معارضة.. بلا بتاع

كنا نصرخ معا.. كانت أرواح الحي تسمعنا وهي تضحك.. كنا نضحك أيضا.. كنا نبكي ونسب العالم والوجود كله.. كنا نسب أنفسنا.. كنا نصرخ أكثر: اكشف غطا وجهك.. *اكشف*.

**

fb/mashro3pdf

شفتاي جافة جدا.. اشترينا سكر بنات وشمع ومياه بكل ما معنا من الملاك التي كانت تبيع المناديل في روكسي..

في بداية الأمر، كان السكر حكرا على البرجوازية، وكان الجمبري طعاما رخيصا للفقراء والجوعى، ثم تبين أن السكر يزيد من القدرة البدنية والذهنية للأيدي العاملة في المصانع.. فرموا لنا السكر نلحسه ما يمكن من توفير المزيد من الطاقة للماكينات، وسرقوا منا الجمبري بدلا عنه.. وبقي الكشرى يترقب دوره الذي تأخر في المصادرة..

مالت علي لتقبلني في الشارع.. ألتقم مكعب السكر من شفتيها.. نتشارك إجلاء السكر منه معا.. نتشارك تخليصه من التواجد في النسج.. أقبلها بشراهة شديدة.. كانت الخمرة المحلية التي رفعناها قوية جدا.. يفشخ دفع الدم عروقنا وخلايانا.. توردنا من الرغبة والحب.. أقول لها على خدها وأنا أقبلها:

تعرفي إنه 9999. 99 % من مساحة الذرة فراغ، وإنه لو خرجنا الفراغ الموجود بذرات كل البشر مجتمعين فهيكون كامل الجنس البشري بحجم مكعب صغير من السكر!

قالت: أنا حابة عالم سكر إحنا بس فيه.

fb/mashro3pdf

ونسري.. سربان الطاقة في الوجود والمعنى، في العدم والقدر، في الحياة والأسطورة في المعابد، والراحة في الممات، والضحكة على الشفاه.

ونسري.. سربان الرعشة على رقبة البنت، والبنت أصلا كانت فكرة تسري على قلب الأيا كان.. وقلب البنت يغوي الولد.. والولد أماتت قلبه البنت.

ونسري.. سربان الولد في البلاد، واللون الأزرق في المتاهات، والدم في العروق، والعروق في أسقف البيوت القديمة.

وكسربان الموال في موجات غنانا في الشوارع:

البت كان غايب وليفها

دي ناس دايرة الدنيا ولفاها

صب أول كاس ولفاها

والكاس التالت صبلها

ما رضتش تشرب سبلها

ترفع العيون وتسبلها

يا متولي..

**

fb/mashro3pdf

هناك قصر عتيق متروك.. في السابق روادني كثيرا دخول هذا القصر.. كنا منهكين للغاية وليس معنا ما يحملنا إلى البيت.. مررنا إلى جواره بالصدفة.. نظرنا إلى بعضنا ونحن نفهم.. تسللنا على أسوار ما تم هجره.. يأذن لنا الملاك الرخام الذي يحرس الباحة الخارجية للقصر بالدخول.. سيفه طويل وجناحاه من ظهره بامتداد جانبيه.. أتعثر بأحجار منثورة على الأرض، *لأنه يوصي ملائكته بك فتصدم بحجر رجلك.*

تحاول يسرا ألا نثير الضجيج. أفكر معها: لم يصنع مكعب السكر البشري كل هذا الضجيج؟ أو كيف يكون الفراغ صاخبا إلى هذا الحد؟

نعبر الباحة إلى باب جانبي للقصر.. باب ضيق ندفعه فيفتح بسهولة.. نضيء بنور الهاتف والشموع من شدة العتمة.. على فكرة ممكن نرجع لو حابة؟

وندخل..

ينفتح علينا عالم من طي وأسرار.. يخبئ التراب والذكرى. على حوائطه تستند لوحات قديمة مرسومة لسيدات عاريات بدون أوجه.. مجرد التأمل في فكرة أن الضوء لا يكشف بشكل كامل مصفوفة اللوحات على الحوائط إلى فوق مخيفة. أو ماذا لو كانت السلالم إلى فوق لا تفضي إلى شيء.. أو يصل فوقها إلى

fb/mashro3pdf

تحت.. إلى المدينة السرية من تحت؟ ماذا سنفعل فعلا لو تقابلنا مع كبار الغرباء أو مع سادة القصر المحتجبين؟ ماذا سنقول إذا جاء المالك الغائب؟ أتخيل يسرا وهي تقول بنبرة شبه ساخرة: سيدي، لقد كنا نهيم ونسكر في الشوارع حتى شعرنا بالتعب الشديد فمررنا بالصدفة بهذا القصر المهجور عديم الفائدة ففكرنا أن نبيت فيه الليل حتى نصبح..

وربما أقول: يا صاحب الباب العالي.. لقد تركتنا للضياع في العالم وأوصدت أبوابك في وجوهنا.. يا مالك البيت الكبير لم تركت ملكك خرابا؟

**

كانت يسرا تظن أن هناك متوالية متكررة أو عود دائم.. ربما قبس مما كان يعتقده نيتشه في ذلك، قالت لي إنها إما حلمت أو زارت هذا المكان قبل ذلك.. قالت لي إنها رأت الأوجه في لوحات الجدار.. وأن الروؤس إذا دققت في الصور كانت موجودة ثم تم محوها بشكل ما.. قالت لي: عارف كل الصور دي مرسومة لبنت واحدة.. ومش حابة إنك تسألني إزاي.. بس أنا شفت البنت والصور دى قبل كدا..

كشف النور بالكاد عن مقاعد متهالكة مغطاة بالأبيض حتى بدت كأنها أشباح مهملة في بهو المكان.. جلسنا أنا ويسرا

fb/mashro3pdf

متجاورين على الأرض.. استندت برأسها على كتفي وأشعلنا سيجارة، تقاسمناها وراح دخانها يهرب منا إلى السلم أو يستقر بين ثقوب أغطية الكراسي الشبحية..

- تسمع موسيقى؟ سألتني بلطف.

- هتشغّلي لإيه؟

- Soley عارفة إنك بتحبها..

- I'll drown طيب

He's alone in his house out there, far, far away; he sleeps with his eyes open.
He was so sad last night, in this house out there; he took my hand and whispered.
I'll drown when I see you; I'll drown when I see you,

أو كما كان جزء من الأغنية يقول..

أرخت عيونها وجرت سواد سعرها على كتفي ثم قالت:

- بحبك حقيقي.

- إيه الحقيقة؟

- الحقيقة إني بحبك يا يوسف.

- أحلامي بقت حقيقية أوي، أنا بتخبَّط بين الواقع والحلم. أحيانا بصحى وأنا منهك من الجري، دايما بجري

fb/mashro3pdf

في الحلم وفيه ناس كتير بتجري ورايا أو بزعَّق مع ناس كتير. حتى الناس اللي بشوفهم في الحلم مش حابِّيّ، يمكن أنا فعلا شخص سيئ.

- أنت محتاج تهدا، حتى الناس في حلمك أنت محتاج تتكلم معاهم أو إنك تتجاهل وجودهم، لكن فكرة إنك إما بتتخانق معاهم أو بتهرب وتجري منهم دي مش هتوصَّل لأي حاجة، وأنت بتعمل كدا كمان في الواقع على فكرة.

- هو أصلا ليه الإنسان عنده كل الولع ده بالواقع؟ ليه الواقع مقدَّم على الحلم والحقيقة مقدَّمة على التخيل؟

- يمكن لأننا بنتعامل مع نتايج مباشرة ومترابطة لأفعالنا في الواقع.. منطق ممكن نتحمله، أنا عارفة إنه ما عادش واقعنا منطقي أوي بس فيه شبه منطق، وده مش موجود في أحلامنا..

- هو أصلا الترابط اللي أنتي حكيتي عنه ده ممل، والنتايج اللي بيتقال عليها واقعية هي حلقة في سلسلة مربوطة في رقابنا. شايف إنه مهم إننا نتحرر من فكرة الأثر المباشر المترتب على الفعل.

fb/mashro3pdf

- مش عارفة، مش بإيدينا..

- بس بإيدينا إننا نخلق واقع تاني يا يسرا.

- بافكر إنه مش هيكون مختلف أوي عن الواقع التقليدي. لو اعتبرنا إن مواقع التواصل بتقدِّم محاكاة لواقع افتراضي فهنلاقي فيها كل الرموز والقيم اللي بتحكم واقعنا العادي، الحب موجود والكراهية والإلغاء والإعجاب والفكرة والتعليق والخيانة.. بس كل ده موجود بشكل أكبر. لأنه فيه تأثير كبير للوهم المعزز أساسا بالوحدة اللي بتحاوط الشخص في الواقع الافتراضي.

- أنا متأثر بفكرة أوسع عن موت الواقع، وده مش بمحوه أو بالتقليل منه أو بتجاهله، ولكن بتعظيمه بحيث إنه أصبح يشمل بالوعي والافتراضي والمصطنع.

- أنا حابة إنك موجود معايا يا يوسف.

- الوجود صعب تعريفه بالنظر للخناقة القديمة عن أسبقية الوعي أو المادة في الوجود. بشوف بشكل شخصي إنه حصر الوجود في التواجد المادي المعروف ده قصر نظر.

fb/mashro3pdf

يمكن فيه واقع تاني.. ربما المادة تطورت إلى وعي والوعي الفضائي لما أصبح بالتطور والإمكانية الكافية، خلص نفسه من التواجد المادي المعروف في واقعنا عبر حفظ الوعي وكل عملياته في دفق من طاقة غير منظورة وغير ملموسة. المادية سجن، أو على الأقل أنا بشوفها كدا، المواد المصنوع منها الجسد البشري مواد ضعيفة وبائسة. الإنسان جواه رغبة مدفونة للتحرر من أسر الجسد، وأسر الألم والمرض والتوتر والضغط الناتج عن وجوده في الأرض بجسد واهن ضعيف، ممكن يخذله أكتر من مرة وفي أكتر وقت هو محتاجه يبقى قوي عشان يواجه.

- ساعات بحس إني عاوزة أطير، بكون محتاجة ده قوي كأنه حاجة أساسية جوايا، ساعات بغمض عيني وباحس نفسي باطير، جسمي بيخف وروحي بتحس براح. باحس الضغط بيقل.. التوتر والعصبية والحسابات الكتيرة مش بيكون ليها أي معنى، باحسُّهم موجودين جوايا بس بدون معنى.. اللي هو أنا باضحك بيهم، هم هنا، هم جوه ومش مهتمة حتى إني أطردهم

fb/mashro3pdf

من جوايا لأنهم عادوا مضحكين مش أكتر، ساعات باحس إني باطير.

- يمكن بعد 100 سنة من النهارده، لما تسيطر الـ trans humanism، يمكن يكون حوارنا ده لسه موجود بس مضحك قوي للي هيسمعه أو يقراه. هتكون مرحلة جليلة فشخ: ما بعد الإنسانية والوجود المعروف.

- بس تعرف يا يوسف، يمكن الوجود مرتبط بالمادية.. ويمكن أي صورة متقدمة عن كدا هتلامس العدم بأكتر ما هتلامس الوجود!

- جان بول سارتر في كتاب الوجود والعدم قايل إنه يمكن فهم الوجود على 3 أوجه: الوجود في ذاته والوجود لذاته والوجود للغير.

- احكيلي عنهم.

- الوجود في ذاته هو الوجود غير الواعي، وجود الأشياء والعالم والظاهرة. هو تركيب الذات مع الذات والوجود المنعزل اللي ما يعرفش أو ما بيسمحش بالغيرية. أما الوجود لذاته: فهو الشعور أو الوعي منظور إليه كأنه في حالة وحدة وانعزال.. هو إحساس بالنقص بيزيد

fb/mashro3pdf

بإدراكنا بإنه كل حاجة ناقصة ومن نقصها ده إحنا وعينا بيها.. إنه كل شعور بيلامس العدم في أوج تأثيره على الناس وعلى نفسك.

- طيب. والوجود للغير؟

- هو الشعور منظور إليه من خلال علاقته بالمشاعر الأخرى. من وجهة نظر اجتماعية وهو شعور في حالة صراع دائم مع الوجود في ذاته. لأنه في كل مرة بيحاول يطاوع الناس بيطرح الأنا، أو على الأقل جزء منها برّاه بقوة.

- ..... البوسة دي حقيقية كدا!

- كام بنت قبلك قالت كدا برده؟

- طعمها حلو!

- آه.. شفايفك كالعادة!

- والحضن ده؟ مش حقيقي؟!

- الحضن قبول.. أنا مؤمن إنه فيه دوايرللبركة واللعنة.. بحسّها أكتر.. الحضن دايرة بركة، الحضن أكبر من شهوة.. الحضن يعني أنا قابلك لو غلطت.. أنا قابلك لو

fb/mashro3pdf

تعبت أو تهت أو مشيت ورجعت.. يعني خليك معايا شوية.. نتسند على بعض.. يعني أنت مني.. كمِّلني.. يعني أنا مش وحيد عشان أنت جوايا.. يعني هاباركك طول عمري عشان كنتي مرة جوايا.

- باركني طيب.
- طول عمري.
- أنت واحشني أوي..
- أنا بحب عينيكي جدًّا.
- ليه يعني؟
- حلوين.. وسع عيونك حلو.. بحب التوهة جواهم زي آخر معنى باقي.
- وإيه المعنى.. المعنى بشكل مطلق ما عادش له وجود في العالم. قالت بصوت منهك.
- حتى لو فرضنا عدم إدراكنا لمعنى مطلق يمكن إما لقصور إدراكنا أو لانعدام وجود المعنى بشكل مطلق، فده لا ينفي وجود معاني أصغر.. لجمال عيونك يا بنت. قال ذلك وهو يتأمل عينيها بشغف.

fb/mashro3pdf

- قال هو فيه معاني نسبية يا يوسف؟!

- فيه آه.. المحب بيشوف المعنى.

- يوسف، إحنا بنعيش عشان نتعب وبنتعب عشان ننام وبننام عشان نقوم وبنقوم عشان نتعب وبنتعب عشان ننام وبننام عشان نموت.. كلمني أكتر عن المعنى كدا!

- فيه رواية لكونديرا كان قايل فيها إنه الغاية الأساسية للوجود هي تفجُّر الحب بالاشتراك في الأورجازم. أو فيما معناه.

- آه..

تابعت soley غناءها ل -bad dreams.

I saw you out there You were wearing my shoe
And the rabbit was sitting on your head.
I tried to run fast But the
grass was holding me down So I stood there pretty sad
The rabbit will jump on me And take my heart out
Only if it's possible for you to live with it

قالت يسرا:

- أنت بتحب موسيقى soley عشان حزينة؟

- إذا اعتبرنا الحلاوة حزن.. أنا بحبها، صوتها وموسيقاها قريبة قوي على قلبي وكلام أغانيها يبان مش مفهوم

fb/mashro3pdf

ومالوش هدف معين.. Soley بتعبَّر عن موت الموضوع بشكله التقليدي.. زي كأنها كتبت عن حاجة هي بس اللي شايفاها وقالت: أنا شفتك قاعد لابس جزمتي والأرنب قاعد فوق راسك.. ابتديت أجري ووقعت والأرنب هينط عليَّ ويخرج قلبي.

- مش عاوز تفوق؟ عاوز كل حاجة برَّا الواقع. أنت بترفض مجرد احتمال إنك تكمِّل معايا لأنك مش شايفني في رؤياك.. يمكن بتتخيل أرنب بيجري وراك ولا بتشوفني.. أنت بتضيعنا.. لأنك حابب تعمل كدا.. حابب تعيش كدا..

- أفوق أشوف إيه؟

- شوفني أنا جنبك.. بحبك.. أنا حقيقية، حسِّني بإيدك..

- وأشوفك وأنتي بتغيبي؟ بالأسبوع والشهر؟ وإنى ماليش حق أسألك بتكوني فين.. وأتخيل إنك مع حد غيري.. أنا بتخيل ضحكك وإنتي مع حد تاني.. باحس إني سامعه في وداني.. أفوق ولَّا أغيب.. إيه يفرق معاكي؟! أصلا مش ده اللي إنتي حبَّاه فيَّا؟

fb/mashro3pdf

- أنا حبَّاك كويس.. حابة أشوفك أحسن حد.. حابة إنك تكون حر. ولو كنت أنا مقيداك.. أنا عاوزاك حر.. عاوزاك تبطل تشرب.. ترجع لشغلك.. ترجع تقبل الناس.. عاوزاك ترجع بتضحك زي أول ما شفتك يا يوسف.

ثم إذ تتابع soley

The moon was laughing
And said leave this dark cold place
The rabbit is preparing something bad
I was so afraid so I ran but lost my other shoe
I fell down to the grass
The rabbit jumped on me And took my heart out And put in its place so you would love it more

، قالت:

- إنت عارف إننا هنبعد؟
- إنتي بعيدة.
- عاوزة ألمسك.
- مش عاوز أعيش.
- حس إيدي زي أول مرة في السينما.
- حسي ضعفي قدامك زي أول بوسة في الشارع.

fb/mashro3pdf

- أنا بأذيك يا يوسف.. أنا مؤذية. وهي تجتهد في إخفاء دموعها.
- وأنا أذيتك كمان.
- أنت ما عملتش حاجة غير إنك حبيت.
- إيه أذى أكتر من كدا يا يسرا؟
- الوحدة يعني لطيفة؟!
- بحكي مع موني أحيانا..
- مين موني دي؟
- هاها، إنتي بتغيري وكدا؟
- انطق.
- عاوزة تعرفي إيه؟
- مين موني؟
- ولا حد.
- أنت بقيت تكدب عليَّ؟ بنظرة ذهول في عينيها.
- مافيش حاجة أقولها أو مش مهم.

fb/mashro3pdf

- إحنا بنحدد إيه المهم سوا.

- لا ده كان زمان.. قبل ما تمشي وترجعي بمزاجك.

- أنت حمار.

- وأنتى نرجسية ما بتفكريش غير في نفسك.

- أحكيلك عن النرجسية يا يوسف؟!

- لا، شكرا.

- طيب.

- ..... صمت

- في الأسطورة نرجس كان ولد على فكرة، خرج هو وأصحابه في رحلة صيد، لكنه تاه وبقى وحده، لحد ما إيكو شافته. بس إيكو كانت يا حرام ملعونة بإنها ما تتكلمش وتفضل تردد نهايات كلام الناس اللي بتكلمها. فلما شافها نرجس سألها إنتي مين؟ فقالت إنتي مين؟ فقالها اسمك إيه. فردت اسمك إيه؟! إيكو حبت نرجس من أول ما شافته عشان هو حلو وجميل، بس هو كان حمار ما فهمش اللي عندها ولا قدَّر حبها، ولما زهق مشي وسابها.

fb/mashro3pdf

لكن فينوس إلهة الحب والجمال ما سكتتش، وحبت تعاقب نرجس على المرار اللي دوَّقه لإيكو وحكمت عليه بأن يفتن بنفسه. وفي مرة كان نازل يعوم في البحيرة فشاف صورة نفسه منعكسة على الميه فافتكر إنها عروسة البحر. فحبَّها قوي، بس كان كل ما يقرب من الصورة تغيب، لحد ما حزن جدًّا لأنه اتخيل إن عروسة البحر بترفضه، وراح قتل نفسه، فخرجت عرايس البحر تحرق جثته وطار رمادها لحد ما نبت في الأرض نبات جميل وحزين اسمه نرجس.

حِس إيكو يا يوسف وحاول تفهمها عشان فينوس ما تفشخكش.

- هاها حلو..
- وما تبقاش وحدك أبدا.
- لو إنتي وحدك هتفضلي تبقي وحدك، أو يبقى حد بيمثل شكل جديد من وحدتك معاكي؟
- يبقى حد شبهي معايا.

fb/mashro3pdf

- أنا قضيت أكتر من نص حياتي وحدي، ولما كنت مع الناس كنت وحدي. أنا معاكي باحس إني مع نظيري.. نظير أحلى مني.. نسخة منقَّحة عن الوحش اللي بقيته.

- أنا ما باعرفش أجاريك في الكلام.

- مش فاهم.. ده إيه.. ده حب ده.. وقت ضايع.. ده مستوى جديد من وعي زايف أو نشوة مؤقتة بعدها ألم.. أو إنتي حتى حقيقة أو لا.. ما تحاوليش تفهمي.

- أنا حقيقية وأنت مش لوحدك. هات إيدك شوف..

- هاتي إيدك.

- هتعمل بيها إيه؟

- هحسِّها زي زمان.

- هتسمع النبض يا دكتور؟

- نبضك طول الوقت سامعه.

- لسه بتنبسط لما بس تمسك إيدي؟

- يمكن "ويلمسها" بس تعرفي.. أنا حافظ خيوط كفك. وناقشك وشم مش متشاف على إيدي.

fb/mashro3pdf

- حلو... وتصمت جزء من الوقت حتى تقطع الصمت وتقول

احكيلي حاجة؟

- أنا بقيت ممل وبتبضن من نفسي.. مش عارف أحكي إيه.

- احكي أي حاجة.

- عارفة كور البلياردو.. هتبانلك إنها قوية وشكلها حلو من برا. كروية فيه كمال في استدارتها.. لكنها من جواها فشخ وعلى سطحها مخرمة، وعلى sub atomic scale فيها أكتر من ثقب دودي. Strings الكورة بتبدل الزمان والمكان من خلال ثقوب دودية صغيرة فشخ.

- كمِّل الحكاية..

- جوا كل علاقة فيه مساحة فراغ رهيبة.. جوا أمتن علاقة وأصغر ذرة: فضا. فيه احتياج إنه يشبع. الوجود كله بيواجه إحساس رهيب بالخواء.. فاضي.. كلنا فاضيين من جوا.. كل شيء.. هنا بيبقى فيه ميل جوا كل حد فينا إنه يتملا: حب.. أمل.. إيمان.. علم.. فلوس.. يتملا أكل حتى. لكن مفيش دوا للخواء إلا السعي.. لو

fb/mashro3pdf

بنت من حد لحد ولو ولد من بنت لبنت من شغل لشغل من رغبة للتانية.. أنا آخر ممر ليكي. هبدلّك الزمن والمكان وهتعدي جوايا عشان تواصلي سعيك وبعدين هاتساب.. أنا فاهم ده وراضي على أي حال.

- أنا لو هاسعى لحد فهيكون سعي ليك..
- ..... تغنيلي؟ أنا بحب صوتك في الغنا.
- حابب تسمع إيه؟
- أي حاجة لفيروز!
- لا تعتب علي، مش عارفة تعرفها أو لا..
- غنيها..
- لا تعتب علي أخرني القمر

ضيعتنا هنية وطالعنا السهر

يا خجلة عيني لو يعرفوا إيه في

لومك مش علي لومك عالقمر

وقلتلك يا جاري احميني من الهوى

نحنا بالبراري تربينا سوا

fb/mashro3pdf

ما تاري سوا أنت وهالهوى

اتفقتوا علي وما عندي خبر

- حلوة، بس عارفة أنا لو كنت اتفقت عليكي يا حبيبي ما كانش حالي بقى كدا.

- ها ها، تعالى نلعب لعبة.. هاسألك عن أي حاجة وتجاوب بأول كلمة تيجي على بالك.

- اسألي.
- الحقيقة.
- نسبية.
- البحر.
- الملكوت.
- اللمبة.
- النور.
- البطانية.
- الدفا.
- الحب.
- الوهم.
- الوهم.

fb/mashro3pdf

- المين ستريم.
- القانون.
- الورقة اللي بيكتبها الحاكم.
- الثورة.
- الوعي.
- الخيانة.
- إنك موجود.
- الدين.
- أهلك كانوا إيه.
- السرير / الجنس والنوم # الجنس / السحر
- السحر.
- العيون الواسعة.
- صدر البنت.
- الشغف.
- العنب.
- البناتي.
- الصور.
- الذكرى.
- المراية.

fb/mashro3pdf

- الخجل.
- السما.
- تحت رجلك السما.
- إزاي؟
- الأرض جزء من السما.. إحنا سما لكوكب أو نظام نجمي تاني وهم سما لينا.. فإنتي والأرض اللي بتخطِّي عليها سما.

وتضحك كثيرا حتى يسمع صدى صوتها في جنبات القصر..

- الفلسفة دي هي اللي جننتك..
- إنتي مش هي... استني، أنا حابب أسألك، اغنيتك المفضلة وفيلمك المفضل؟
- ما أنت عارف من زمان..
- يمكن اتغيروا!
- Lose Your Soul، سمعتها قريب وحبتها.
- حافظة منها حاجة؟
- كانت بتقول:

Oh,
you're gonna lose your soul, tonight.

fb/mashro3pdf

You're gonna lose your soul,
Tonight, tonight.

و من عند المقطع الثانى، بدأت التصفيق بباطن يديها بحماس فكان صوت الحركة منضبطا ومكتوما إلى حد ما وأتى صوتها عميقا وجميلا.

I get up in the morning to the beat of the drum
I get up to this feeling, Keeps me on the run.
I get up in the morning, Put my dreams away
I get up, I get up, I get up again

Oh,
You're gonna lose control, tonight.
You're gonna lose control،
Tonight, tonight.

- هاها، هو ده اللي هيحصل الليلة يعني يا يسرا؟
- آه يا يوسف، هتفقد روحك الليلة وكل ليلة جاية بعد كدا.
- هاها! طيب فيلمك المفضل؟
- The Devil's Advocate.

fb/mashro3pdf

- مولانا آل باتشينو والأستاذ كيانو!

- هاها، أيوه.

- Vanity, definitely my favorite sin. وهو يقلد البحة في صوت آل باتشينو.

- Freedom, baby.. is never having to say you're sorry. أنا بعشق الفيلم ده. وقالت ذلك بسرعة.

- وأنا كمان... عاوز أسألك لو فيه واقع تاني كنت تحبي تبقي فيه إيه؟

- غير إنسان؟!

- آه لو بيدك تكوني أي حاجة غير إنسان هتكوني إيه؟

- فراشة..

- ليه؟

- ما اعرفش، حريتها.. طيرانها.. ألوانها. كنت هاحب قوي أكون فراشة. وأنت؟

- ده هيكون غريب شوية.

- هاها.. قول

fb/mashro3pdf

- زمان كنت بافكر إني هحب أكون لوحة إعلانات.. كان بيعجبني أنوارها ووقفتها على الطرق السريعة.. كنت باحب فكرة إنه كل الأطنان دي من الحديد وكل الطاقة دي من النور واقفين في كل الحر والبرد بيواجهوا الوحدة والملل والصدأ عشان يعلنوا عن علبة زبادي مثلا.

- فكرة عبثية وحزينة فشخ..

- آه ما أنا فكرت فيها تاني.. وبعد ما عدَّا شوية وقت قررت إنه لو بيدي فأنا مش هكون.. شكرا.. كفاية كينونة لحد كدا.. اتهدلنا كتير قوي.. وهو يضحك.

- هاهاها... استنى عاوزة أسألك يا يوسف، هو ينفع تحب حد وتكرهه في نفس الوقت؟

- يمكن..

- إزاي؟!

- إزاي النظام أصبح نظام يا يسرا؟

- يمكن الشمولية هي اللي بتدِّي لأي نظام معناه..

fb/mashro3pdf

- والاحتواء كمان.. لو كان فيه معادلة للحب وما كانش فيها الكراهية تبقى قد إيه فاشلة عن وصف الحالة؟ الحب والكراهية. الخير والشر. الصحة والمرض والنور والضلمة.. ورغم كل التناقض اللي بينهم مش بعاد عن بعض زي ما هو باين كدا.. الاحتواء أهم سمة في أي نظام.. حتى احتواء ما يمكن أن يهدمه، واللي بالمناسبة هيحصل.. إنتروبيا الخروج عن النظام هتهدمه وينتهي كل شيء.. الكون كله هينتهي لما يفشل عند نقطة حرجة إنه يحتوي الخروج عنه.. على مستوى أقل.. لو بتحب حد.. وسبتوا بعض إيه بيحصل؟

- على فرض إني لما كنت معاه كنت بحبه وأكرهه ولما سبته لسه بحبه وأكرهه برده.

- أها.. إيه يحصل؟ م الآخر للأول: لما تسيبيه جناح كراهيتك ليه بيقوى على حبك، فإنتي عاوزة تفشخيه وحاباه يتوجع، لكن لو شفتيه تاني يمكن هتحبي أكتر تاخديه في حضنك.. لو إنتي لسه معاه فإنتي حابَّة تلمسيه.. عاوزاه أكتر.. عاوزة تنامي معاه.. ذراتك بتخبط في ذرات جسمه. وعلى كوانتم سكيل الذرات والوعي هيعموا عن الحد الفاصل بين الالتحام والتدمير

fb/mashro3pdf

وبين الحب والكراهية، وربما حبك ليه يؤلمه ويمكن يدمر العلاقة تماما، بس ده فعلا حبك ولا كرهك؟

- .....

- أيًّا كان.

- لسه باقي سجاير معاك؟ أنا خلصت علبتي.

- معايا. يسرا، فاكرة الأغنية اللي بعتهالي من يومين دي؟

- هاهاها، هشغِّلها.. قوم تعالى نرقص عليها.

- ها ها..

أدارت يسرا الأغنية ووقفت ثم خلعت قميصها ورمته على وجهي.. بدأت تتمايل وهي مخفضة رأسها وشعرها يخفي وجهها.. أثارني رؤيتها ترقص بحمالة الصدر وبالجينز الضيق الذي ترتديه، حتى مدَّت يدها إليَّ لأشاركها الرقصة:

تعالى..

It's just a cigarette and it cannot be that bad Honey don't you love me and you know it makes me sad?*

It's just a cigarette like you always used to do I was different then, I don't need them to be cool*

fb/mashro3pdf

It's just a cigarette and it harms your pretty lungs
Well it's only twice a week so there's not much of a chance*

It's just a cigarette it'll soon be only ten
Honey can't you trust me? When I want to stop I can*

كنا نروح ونأتي في صالة المكان في اتجاهين متقابلين، كنا نغنيها ونحن ندخن ونشعر بالنشوة الشديدة.. كانت يسرا ترج الأرض ضربا بقدميها.. كنا ننفث دخان سجائرنا في المكان كله..

كنا ندور سويا وندور رأسنا من فوق إلى تحت وبالعكس وكنا نغني:

It's just a cigarette and it's just a Marlboro Light
Maybe but is it worth it if we fight?*
It's just a cigarette that I got from Jamie-Lee
She's gonna get a smack and I'm gonna give you three*

**

لما فرغنا، جلسنا متعبين على الأرض.. كنت أريدها بشدة.. أخذت أقبلها كثيرا على رقبتها، كان تصاعد صوت نفسها رهيبا. لثمت شفتيها بشدة، كانت تدفعني إليها أكثر.. مدَّت يديها وغاصت في شعري وأخفضت رأسي إلى صدرها.. ثم.. ثم.. غبنا كثيرا.

fb/mashro3pdf

الآن أنت تلمسها.. تلمس من تتمناها مع آخر كل ليلة وأول كل صباح.. الآن أنت تهتك وضاءة وجهها وطيب محياها ورخام صدرها المنحوت من آخر نجمة ماتت قبل تأسيس العالم..

وحشتيني فشخ يا بنت!

أهمس في أذنها فتبتسم وتقبلني على خدي. أتقرَّب منها للغاية.. ألتصق بها إلى جانب الحائط.. أتحسسها.. أشتمُّ رائحتها.. أسحبها.. أضمها:

إنتي حبيبتي.. أنا عمري ما هاحب بعدك يا يسرا.

نتدلى كالورد المعلق على حائط القصر.. أنفاسنا تتصاعد.. نبضنا يزيد.. فوران الدم في عروقنا.. نتوهَّج.. تتلوَّى من الوهج.. تدفعني إلى حافة الجنون. أميل على أذنها وأقول بصوت خفيض:

يشهد عليَّ كل اللي حبيناهم في حياتنا.. تشهد كل الأغاني اللي سمعناها سوا.. كل الجنان اللي عملناه سوا.. كل الطريق اللي خطيناه سوا.. إني باحبك أكتر من نفسي يا يسرا.

- أنت عارف إني حبَّاك! عارف.. أحيانا بفكر إني بدونك ضايعة.. إنك حضني.. وإنك سبب استمراري الأساسي.. وتبتسم بوجه مضطرب.

fb/mashro3pdf

أنا تائه الآن يا يسرا.. تائه صعودا وهبوطا في حرم جسمك
إني أتحرَّق من الحب.. هذا أقوى شعور أحسه في حياتي.. كأ
تلمس حافة الشمس.. كأن تدخل مغامرة تدفع الأدرينالين
داخلك إلى الثورة الجارفة.. كأن تموت من العش
والأوكسيتوسين في الثورة بقلب مطمئن.

ألثم شفتيها زمنًا لا أعرفه.. طعمك شهد في فمي.. ثم
أفلتهما حتى أحس بالاشتياق إلى رقبتها المنتظرة بصبر.

تقول عيناها الواسعتان: دوق يا حبيبي مني.. تذوَّق الخبا
النازل على رقبتي.. واضمم إليك عنقي بيدك ثم اضغط ع
شرياني الأساسي حتى أكاد أختنق من محاولة صياغة نظر
محتملة لما يجري.

يسرا.. أنا هناك يا يسرا..

طعم جسمك لا يبارح حلقي.. كالشيكولاتة وحبوب السكر

كبقية خمر للسكران.. كبقية أهل لليتيم.. كنبع ماء
الصحراء للتائهين.

يسرا.. أنا هناك.. نصف عمري قضى وأنا أتحسس السك
والمشوار بين رقبتك وأول صدرك.. كبرت ألف عام فدفن
رأسي على صدرك..

fb/masiroslpdf

يسرا.. أنا هناك..

من الوهج يظللني شعرك.. ومن الخوف تؤمنني يدك.. ومن الغباء ينقذني صوتك وأفكارك، ومن الغربة يخبِّئني حضنك، ومن العبث يتولَّد المعنى في رحمك..

رائحة حبيبي زكية.. منثورة حتى اليوم كالورد في مخي.

تفك أزرار قميصها الرمادي.. يتمنى شعرها الأسود الطويل لو أحكم تغطية جسمها نصف العاري.. تسطع عيناها من التحديق فيَّ ثم تنكسر.. نظرتها ترسلني إلى ما بعد الوعي المعروف.. يتصاعد نفسي.. يزيد قلبي من ضخ دمي.. ويقوم ما بين رجلي.. تزيد حركة جسمي عليها.. ثم تتولى الموقف عني وتقول بدلع: بالراحة يا حبيبي أنا هنا.. تقبلني ببطء من أول أصابع يدي.. صعودا إلى ذراعي ورقبتي.. تتأنَّى عند رقبتي تمصها ببطء.. تتفلت منها آهة.. ثم لا تحكم تأوهها من الوجع..

كانت أغنية "Paradise Circus" تدور على مسامعنا.. كانت الموسيقى تلفت انتباهي.. والكلمات تخبرني وتترجَّاني:

It's unfortunate that when we feel a storm
we can roll ourselves over 'cause we're uncomfortable
Oh well, the devil makes us sin

But we like it when we're spinning in his grip

fb/mashro3pdf

تتلبَّسني روح محارب.. على باب أسطورتها. هي ساحة حربي وسلامي.. وسلام عليها إذ استدارت حتى أواجه ظهرها فأتولى شعرها جذبا وشدًّا. وأضغط ظهرها على الحائط بعنف.. أدخلها وثقل جسمي عليها يلويها.. ونصف روحي مرهون فيها.. وربع روحي مباع لهالة صدرها.. وربع آخر للهالة الأخرى..

وأنا بلا حيلة يا يسرا.

وأسمع:

Love is like a sin, my love
For the ones that feel it the most
Look at her with her eyes like a flame
She will love you like a fly will never love you again

.....

سألتني يسرا: لما تسبني! وجدت أن ذلك غريبا.

هل أحببت السب مني؟

إن لعني لك بركة يا حبيبي.. وإن مباركتي عليك لعنتي.

من الغريب فعلا أن تتوقف الذهنية عند ربط صحيح اللفظ بمجرد المعنى.. لقد تجاوزت الإنسانية التعبير بقصور ما

fb/mashro3pdf

يقدمه اللفظ.. أصبحت النظرة معبرة أكثر.. الرؤية.. الإيماءة.. لغة الجسد.. باطنية الكلمة.

لطالما اعتقدت أن الأشياء ونقائضها ليست بعيدة عن بعضها إلى هذا الحد.

ربما أردت أن أتجرد معها من بقية ذاتية أو وقار. أو أراد الـ(هو) داخلي ذلك. أردت أن ننصهر معا ثم ننصب قالبا واحدا من جديد.

طوال تاريخها الممتد، سعت الإنسانية جاهدة للتخلص من شبهة ربطها بالحيوانية. لطالما أحست بالعار من إرثها القديم. وإذ هي تهرب من ذلك تجد نفسها منغمسة في حيوانية أحط.

ما فائدة أن نتصرف مع من نحب بكتالوج مستمد من التكبر والوهم، ثم إذا خرجنا إلى الشوارع نؤذى الجميع. ويبيد القوي الضعيف بمنتهى البشرية؟!

.....

نفسها صعب التدارك.. صوت نفسها غير معبر عنه. ربما ليس من هنا. هذه الحرارة التي تمر منه فتحيل البرودة إلى دفء والموت إلى حياة.

fb/mashro3pdf

كنت أتنشَّق نفسها الخارج منها.. جربت ذلك مرات.. كنت أتنفسها حتى يكاد يغمى علي.

ليه كدا ما أنا كلي معاك. قالت بعصبية.

أنا عاوز منك أكتر: رددت.

نفسك: رائحة مسك تعطر روحي..

ثورة مركونة في سجن أسواره بحد مجرة.

الآهة كمان منها..

تغير صوتها من بدايات تحسس طريق الأورجازم.. تغير أكثر من مرة.. أنينها الخفيف في أول الدخول.. صراخها آخره.. وجعها من الضغط.. من الإيلاج والخروج.. تغير صوتها ألف مرة في كل مرة.. كأن ألف امرأة تتلبَّسها.. كأن أكثر من واقع في النسج، وأكثر من هتك في الحكاية، وحضارة بعيدة منكسرة من الألم باتت تجلل روحها وتسكن جسمها، وكوكب كامل مواز من حاملات الشهوة يتغيَّرن من الحدة إلى الرقة ومن الأمر إلى الرجاء، ومن الولع إلى الغنج إلى العواء إلى الضحك.. كانت تهمس لي في أذني وأنا أجامعها.. تحكي بمليون صوت.. تقرأني شعرا وتختم على بآيات الحب واللعنة.

fb/mashro3

يسرا..

كأن لا أحد عليَّ غيرك.. هناك على حوائط القصر العتيق.. عالم سائل على الحوائط.. عالم من دموع وتراب وماء ومن انكساراتنا وأحضاننا وقبلاتنا ودخولنا وخروجنا وضعفنا وقوتنا.. عالم من تناقض ومتعة يعيشان في سلام على صدرك، انتهت متوالية الزمن يا حبيبي وانحنت الجاذبية راكعة عند رجلك. انحنت حتى تتعالى..

الآن أبارك وغدا ألعن؛ لأنني مسست منك طرفا.. وكشفت صفحة عن المحتجب.. عن غير المعلن عنه. إن بركتي تحل الآن.. وغدا مخيف.. وشرير جدًّا لو كان بدونك.

تمنيت معها ألا أدخل نوبة من نوباتي الغبية.. لكن جيناتي لم تعد تنصفني.. يخونني جسدي، ويخور من عبء مداولة الفكرة.. من براعة ما مررت به معها..

فأبدأ في السعال.. أكح وأكح أكثر حتى يفيض وجهي حمرة من شدة الكحة.. تأخذني إلى حضنها كالولد.. تربت بذراعها على ظهري.. تشد يدها على يدي حتى أهدأ وتقول بأسى: يمكن أنا سممتك.. يمكن.

fb/mashro3pdf

يسرا،

أنا مدين بالإنسانية لو كانت حضنا لحضنك

ولو كانت علما فلكشفك

ولو كانت رؤية فلعيونك

ولو كانت ضحكا فلشفاهك

ولو كانت براء فلشفائك

ولو كانت مرضا فلحبك

ولو كانت شهوة فلجسمك

ولو كانت رحمة فلرحمك..

**

لما هدأت ملت على أذنها وأنا أتأمل السواد في عينيها الواسعتين: ما تخافيش مني أنا عمري ما هأذيكي.

أتأملها.. أتطلع إلى رخام جسدها العاري على الأرض. مخلوط بياضه بالاحمرار.. أتطلع إلى انحناء نسج المكان عند مفرق فخذيها.. إلى طول رقبتها واستقامتها.. إلى نفور ثديها مخروطي الشكل.. أفكر في عظمة ما خط تصميمك.

fb/mashro3pdf

أمام عيناي، أتطلع إلى جنتي وجحيمي.. سحلتي الخاصة.. وآية اكتشافي.. وما حُكم عليَّ في الدنيا..

**

في صباح اليوم التالي كانت حياتي كما عرفتها قد انتهت إلى غير رجعة..

يونيو

أحك جبهة رأسي.. وأتطلع إلى السقف ثم إلى حركة دوران المروحة المعدنية..

وأسمع انتظام دقات ساعة وجلة وأراقب بطرف عيني حبة عرق تنزُّ على رقبتي.

وأداري آبار العين بغيابك.

وأداري وأداري..

تزيد حركة دوران المروحة.. أكثر فأكثر.. وتزيد سخونة جسمي وتتمدد عروقي مني ويتصاعد الفوران في دمي.. ويضطرب النسج أمامي.. بغيابك..

وتنفك المسامير عن مثبت المروحة برويَّة وصبر.. المسامير تتوق للتحرُّر مما دقته في السابق.

fb/mashro3pdf

تنفك.. تنخلع.. تتهاوى على الأرض

لا أحاول اجتنابها فلا تحاول إصابتي

ثم يسقط السقف أيضا.

ثم تقوم ثورة جديدة في البلد.

فلا تقوم البلد..

ثم تحترق نصف المدينة، ويحرقها هواؤها المسرطن.. يسري نارها في هشيم صدئها.

وتذوب أكوام البلاستيك على أطرافها مجرية نهرا مصهورا من السخط، ويتهشَّم زجاج لوحات الشركات التي دمَّرتها ومسخت ناسها، ويتطاير في الأرجاء جارحا سواد روحها المنتهكة..

ثم تقوم الحرب العالمية الأخيرة.. وتنهار الحضارة بشكلها المعروف

ثم ولد حبيبته مفقودة من زمن.. ثم تئنُّ من الألم.

ثم الملل - رغم كل ما حدث - يتوَّج ملكًا على نهر السخط ويخوض حربا قصيرة مع أثر التبلُّد.. فتتوقف الحرب بفعل الملل الذي يعقد حلفا أبديا مع التبلد.

fb/mashro3pdf

لا يصح - يا صديقي - أن يحارب إخوة في العدم بعضهما.

ثم أداري آبار العين بغيابك وأداري..

إن حبة عرق على رقبة يسرا لهي أكثر متعة وتشويقا من نصف الحكي عن العالم، بعدما يفنى العالم في إحدى مغامرات الملل الكبرى..

**

fb/mashro3pdf

(10)

مايو

الموسيقى بتصرخ في ودنك.. قد إيه احتجت تكون غبي عشان تخسر نفسك؟

لون وشك بيتغير مكسور.. الموسيقى بتصرخ أكتر.. ما أنت فاعله افعله سريعا..

أنت منهر جدا.. دق الموسيقى عامل زي الخبط على الصور في اليوم الأخير.

بتخبط جوا في حشاك وخلايا مخك:

أن أحرق الشوارع واتحرق أنت كمان معاها

للخلاص يا حبيبي.. ليس لأي شيء

**

من أجل الاستحقاق، من أجل كتابة تستحق.. فشخت نفسي وكل اللي عرفتهم من أجل الاستحقاق.

من أجل يسرا فشخت يسرا

وفشخت نفسي من أجل يسرا

fb/mashro3pdf

يمكن - بدرجة ما من التجريد - اعتبار حياتي مزجا خاصًّا من الفشخ والإخفاقات المتوالية.. يمكن عدم اعتبارها أصلا.

**

وأنا خسرت نفسي عشان أكسب البنية.. وخسرتها بعدين عشان أموت.

كأي مبرر للضعف والهزيمة.. كأي حجة تافهة لتصوير المرض النفسي كأنه نزهة يوم إجازة اتاخدت خطف بعد أخد الإذن والسماح وبوس رجل ماكينة الشغل وطبع العملة.

**

الوحدة كعهد بينك وبين معادلة الوجود.. الوحدة تسبحة مجيدة للعدم.. لو تعرف ناس اخسرهم وانضم إليَّ.. أنا عاوز أخسرك قبل ما أنت تعمل كدا.

**

قد إيه يا صاحبي هناخد وقت عشان نعرف إنه الفكرة كلها في الوقت والاحتمالات.. الاحتمالات بتضع الاختيارية في خانة هزلية جدا.. والاحتمال بيعززه الوقت.. كأي توقُّع وهمي لما يمكن أن تؤول إليه أمور لم تحدث بعد.. كأي محاولة مضحكة لحساب الوقت.. للتقرُّب مجرد قربى من محاولة ضم الوقت لمعادلة مفهومة للوجود.

fb/mashro3pdf

وأنا يا حبيبي.. كنت عامل ليك رسم على كفي

وناقش اسمك على راحة إيدي

وختمت على قلبي بحبك.. أجد نفسي مبتذلا إلى حد ما

لكن، إيه الدافع اللي خلّاك تكتب؟ غمض عينك وارخ
أوتار جسمك واشرب حاجة تروّق بها أعصابك وشوف معايا:

إيه اللي خلاك تكتب وختمت على قلبي بحبك؟ ها ! ها ه
ها.. يعني ليه مش ختمت بحبك على قلبي.. أو على أي عض
آخر.. إزاي حصل للجملة التراتبية دي؟ سمعتها قبل كدا؟ مم
يمكن.. لما قالتلك حاجة شبه كدا.. طب إزاي اتذكّرتها ه
بالذات؟ أو يمكن أصلا هي ما قالتش كدا.. لو إنه السر
منسوخ هل يتبقّى لأي كاتب حقوق ملكية؟ هل يمكن أص
تسمية الإنسان ككاتب حصري لحكايته؟ أتمنى فقط أن أعل
لم الإصرار على الملكية إذا كنا نسخ متشابهة، وإذا كان المصد
الحقيقي.. المالك الفعلي.. غائب؟

غائب كالتي ختمت على قلبك..

**

قد إيه هناخد وقت عشان نعرف إنه الفكرة كلها في الوق
والاحتمالات؟

fb/mashro3pdf

قد الوقت اللي أخدته البحيرة القديمة عشان تجف.. ولما ابتدت تجف حسِّت السمكة الأم بالخنقة.. حسِّت إنه روحها بتتسحب؟ أنت متخيل إنك بس اللي بتحس كدا؟ إنت بس اللي بتحس؟ لو كان الأغبياء الجهلة الذين حولنا بيحسوا لكانوا ربطوا حبال الحقيقة على أعناقهم وعلقوا رؤوسهم على أقرب شجرة.. بلا تردد.

لو كانت الحيوانية تعلم ما آلت إليه الإنسانية.. لكانت فضَّلت مشكورة الاختناق بجفاف البحيرة.. فضَّلت الانتهاء قبل دوامة البداية.

**

خرجت السمكة الأم خارجا إلى الأرض بـathma بتتعالج منها لحد الآن.

لم التعقيدات الصحية في الرئتين شائعة جدًّا؟ لأن مكاننا الأصلي تحت البحر.

لم نئن من الألم أسفل ظهورنا؟ لأنها كانت محنيَّة أصلا.. ربما ما كان علينا نصلها.

fb/mashro3pdf

تطور الإنسان ولم يسبب تزايد حجم المخ والرأس إلا المزيد من الشقاء للمرأة في الولادة.. تطور الأنسان على حساب المرأة.. على حساب ألمها الخالص.

**

لكن وبرغم الوحدة بتقول كل المؤشرات إنه التطور شخص صعب المراس. وإن آلية عمله عمياء، وإنه بيشرب البن سادة من نهر قهوة فوقي كدا.. بيمد إيده ويشرب بدون فنجان ولا فيروز.. بدون طقوس مملة.

وإن التطور لو كان حس بعشر اللي إحنا حاسينه كان زمانه انتحر أو أنهانا أو هاجر برا المجرة كلها.

ابدأ مرة أخرى في أندروميدا

ربما لن تخذلك أندروميدا كما فعلنا..

**

وأنا لو كنت لسه بحس صح يعني ولم تأت المخدرات والأدوية على صحة وعيي بالكامل..

فيمكن المهزلة دي كلها لا تستمر أكثر من 200 أو 300 سنة على الأكثر.

fb/mashro3pdf

لقد صبرت علينا الأرض طويلا واتسع صدرها كفاية للغباء الإنساني.

منذ أن كنا أغبياء إلى أن صرنا أغبياء بلا إحساس..

**

ستحدث نبتة ما الأرض، من تحت الأرض.. ستحدثها على طريقة المسرحيات الشكسبيرية بصوت فيه من الاحترام والحزم:

انظرى أيتها الأرض.. يا سيدتنا العظيمة وأمنا الحنون.. يا زهرة صبح نظامنا الشمسي الهانئ.. يا تاج الأخضر في مسامِّ أوراقنا البضة والوارفة.. انظري إلى الإنسان لقد طغى وتكبَّر.. انظري إلى الصلف والدمار الذي يسببه أينما خطا على حجر الدنيا.. لقد أهدر الإنسان فرصه في النجاة بعناد غريب.. منذ مئتي ألف سنة إلى هذا اليوم وهو لا يفعل شيئا إلا العبث في تصميم الحياة، ومد يده الملوثة بالدم والخراب والاستهلاكية إلى مقام الزمن يستمني..

فإني أسألك بحق الأخوة في الوجود أن تصوغي حلًّا شاملا ونهائيًّا لقضيته الخربة ووعيه الزائف وطفرته الفاشلة التي كلَّفتنا كثيرا جدًّا..

fb/mashro3pdf

تتداول الأرض في مرافعة النبتة دهرا.. وهي تحاول رائفة التماس الأعذار للإنسان.. تسترق سمعها للتوصل إلى مرافعة دفاع إنسانية فلا تسمع إلا أصوات القنابل والحروب التي تثخنها من مئات السنين..

فتقضي الأمر كأن تزيح نملة مزعجة من على كاهل الوجود الثقيل..

وبعدين.. الأرض بتهدا عشان تضمد جراحها.. بتهدا وبتسقع جامد.

وجهها بيصفا.. ووهجها بيخبو.. وصوتها بيسكت.. واحتقانها بيقل.. ونبضها بيسكن.. ونفسها بيرتاح.. ونهارها بينوَّر أوي ويوضح.. وليلها بيخوِّف قوي ويجرح..

وبعدين بيعدي وقت كتير.. لحد ما بتفتكر الأرض يسرا.. بتوحشها قوي زي ما هي وحشتني...

تفتكر يسرا.. نبرة صوتها.. ضحكتها ورقتها وقوتها وجنانها ولعبها.. كانت بتملاكي.. بتملا الفضا جواكي.. كانت رفيقة ليكي.. بتحبك وبتحب الحياة فيكي؟ رفيقة ليكي ضد الملل والموت والأذى.. ضد الفراغ اللي بيجتاح أوصالك..

fb/mashro3pdf

قد إيه كانت حلوة؟ في هدوئها وفي تسارع نبضها.. ملامحها وهي هايجة.. وهي مفشوخة تعب بعد يوم آخر من الجنان الخالص..

بتفتكر يسرا بس وتندم.. وبتبكي وبتغرق نفسها وبتفيض أنهارها منها دم..

ما كان لزاما عليك أن تفعلى ذلك؟

الندم بيستولي عليك بياكلك.. لو كنت تعلم عن الندم لندمت على بلع ريقك وعلى أخذ حصتك من الهواء.

ثم يأتي للأرض خاطر كدا على استحياء..

خاطر كأنه لفحة هوا خفيفة بيلمسها على وجهها.. بيفوَّقها.. كأنه بوسة على خدها بتصالحها بخجل العاشق وبيوضح برهبة العالم وبيشفع بعلم الراهب.. بهمس عند شفايفها.. بيتكلم جوًّا روحها.. الخاطر بيحث الأرض:

عشان خاطري - ولأن الوضع الجديد غير محتمل - تعالي نعمل يسرا من تاني.

**

fb/mashro3pdf

(11)

الحادية عشر صباحا

جسدك مسجًّى على الأرض.. في الصبح.. صداع.. تشوُّش.. جسدك مرميٌّ هناك حيث تركته، تذكر!

تذكر.. مصر الجديدة لا تعد بالكثير من المعرفة.. الملاك التي تبيع المناديل والحصان الأسمر الذي يجري في الممرات من تحت.. القصر.. والبنت والرقصة والحكايات.. التراب يغطي جسدك كأنك نمت ألف عام.. في أي يوم وأي ساعة علقت؟ لا يهم. وجع في كل جسمك.. الذي كان مرميًّا على الأرض.. هناك حيث تم تركك..

تبحث عنها.. تنادي عليها.. تصرخ باسمها.. باسم التي نامت معك تلك الليلة.. صداع أكثر.. تبحث عنها في كل أرجاء القصر.. تصعد السلالم التي لا تنتهي وتنزل السراديب التي لا تؤدي لشيء.. تدخل الغرف التي هجرت.. تسمع أصوات الأبواب التي لم تعد تفتح لأحد.. يسرا: أين ذهبتِ؟ أو من أخذك؟ تخرج إلى الشوارع.. تسأل المارَّة.. تتصل بها فلا ترد.. تسأل الناس ويسألك الناس.. أصحابها.. أين أهلها؟ من أين جاءت؟ أين كانت تغيب؟ مع من؟ أين هي؟ تسأل في المشافي وفي

fb/mashro3pdf

المقاهي.. تتسوَّل أثرها على أرصفة وسط البلد.. تسأل في طلعت حرب.. وفي كل نواحي البلد.

**

تقول رضوى رأيناها.. يقول باسم لا لم نرها.. تقول رضوى رأيناها مع خالد وخالد لا يقول شيئا.. أسأل ريم فتقول: انسَ.. لا يعود من غاب حتى لو عاد فعلا. ولا يستحق الغائب السعي وراءه فانساها يا حبيبي.

ألكم خالد على وجهه. ربما خطفها الحقير. يقول لي "لم أعد أراها من بعد آخر ليلة".. يقول لي "أنت مدمن" ويسبني، كان علينا أن نقتلك منذ زمن، فأنت تدنِّس طهارتنا الثورية.. يسبني ويقول: يا مجنون، هل تصدق فعلا أنها مخطوفة؟ لقد ذهبت عنك لمَّا ملَّت منك.. كما فعلت ذلك مع كل الناس من قبلك.. ليس معنى أن يتأخَّر دورك أنه لن يأتي أبدا. ألكمه مرة أخرى.. ومرات، فلا يقول.. لكنه يستغرق في الضحك.

الضحك الذي يحمل من الحقيقة بأكثر مما يحمله الكلام..

تقول رضوى: رأيناها.. كانت تحاول التخفِّي عن النظر.. كانت غريبة وبدا عليها المرض والإعياء الشديد، أو كأنها ليست هي. تعرَّف عليها إياد بصعوبة ثم سلمت علينا بشكل فاتر. كانت مضطربة وبدا أنها تنتظر شخصا ما. كنا نصارع الملل في وسط البلد فلما جاءت ورحلت وفَّرت لنا عدة دقائق أخرى

fb/mashro3pdf

من نميمة شيِّقة.. كان ذلك كل ما في الأمر.. لا نعرف أكثر من ذلك.. آه.. وعندما قلنا لها إن يوسف يبحث عنك في الشوارع كالمعتوه لم ترد كأنها لم تسمع باسمك قبلا.. أقول لك ذلك وأنا أعلم أنك ستتألم بمجرد سماعه.. لكن الألم مهم للتطور. عندما يصبح ألمك ضخما ومبتذلا جدًّا ستقرر حينها التخلي عنها نفسيا ومتابعة حياتك. رأيت أن ذلك مفيد لك.. كما رأيت أن أخفف عنا قرف حضورك الثقيل وعبء الإجابة عن أسئلتك التي لا تنتهي والتي لا تمل من إعادة طرحها كأنك مريض بالزهايمر.

رأيناها يا يوسف.. أتى الشخص الذي كانت تنتظر وبدت مضطربة قليلا وهي تخونك.. يستمر اضطراب البدايات في تعزيز الشعور بمتعة خيانة الشخص الذي يحبك فعلا.. كأن تضطرب وهي تتخيلك جالسا إلى طرف السرير.. تسمع صراخها في الجماع وهي تستمتع في أحضان غيرك.. تشعر بالأسى عليك لثانيتين ثم تستمر في تلقِّي المتعة دون تردد أو تأنيب ضمير.

أبصق على رضوى وأسبها: مش كل الناس زيّك يا بنت الوسخة.

**

في طريق الحلم الطويلة تقابلها.. كانت هناك تجلس وحيدة على عتبة سلم البخت.. والسلم ممدود إلى السماء يشق عتمتها المستفزة.. تعرفها بمجرد نظرك إليها.. إنتى كنتي مني يوما ما؛

fb/mashro3pdf

كانت معظم ذرات جسدينا الآنية تسبح في سحابة سديم مطوية في الفضاء بعد الانفجار الأول من ملايين سنين خلت.. كيف حدث هذا؟ كيف ضعتي مني أول مرة؟ وكيف يخوننا الوعي كل هذا الوقت؟ لقد قاربت على الجنون وبحثت عنك في كل مكان.. فتشت داخل دمي وحبال أوردتي.. فتشت في ثنايا مادتي الرمادية وعند عتبات بيتي وفي الشوارع الجانبية المنهكة.. بحثت عنك في أقبية المخافر والمشافي وفي سراديب المعابد والملاهي وفي قنوات المياه وتيه الصحارى وفي جداول ضرب الأرقام وشخوص الروايات الحزينة؛ ولم أجدك.

تقابلها.. نفس الذرات المشحونة بالغواية.. نفس الوعي البادئ المضطرب خوفا من فقد آخر.. نفس تكعيبة المساحة على ضيق استيعاب الزمن؛ يضاف إلى ذلك آية جسدها الفائر.. وعيونها التائهة الراغبة والرافضة.. الحزينة دوما بلا سبب.

تعالي هنا. تعالي.. أبدية صغيرة بمعنى كبير.. ليلتان وكأس ومكعبان من الثلج قبل انفجار أخير..

بنهاية الحلم كنت أعلم أن يسرا غابت بعيدًا جدًا

**

أن تخون نفسها، وترحل..

fb/mashro3pdf

كأن تخون نفسك، ويخون هواك صدرك، وتخون قبضتك شجاعتك، ويخون فراغك يومك.

ويخون يومك غدك.. وتخون دموعك عينيك.

وتخون الرحلة المسافر.. ويخون الوصول السفر.

الوجود كمجموعة خيانات متصلة للعدم. وهي ترحل.. تظلم الدنيا في عينيك.

وينشق حجاب الهيكل.. دون أسباب أو بأسباب لم تذكر.

إن أعظم الأشياء في الدنيا تحدث دون أسباب.. لكنها خطيرة جدًّا. فالتبرير مهم جدًّا للتراضي حتى لو صوريًّا.. مهم لتخفيف الألم وخفة الحركة وقتل الأيام وإزاحة الأثقال عن الصدور.

التبرير كعاهرة تسكين للوجود البشري.. عاهرة تخط الاستمرار خطًّا وهميًّا ينمحي تماما بمجرد قلب صفحة الزمن.

**

يسرا وحشتيني.. لا أخجل اليوم من الاعتراف بفشلي في مواجهة الذكرى.

fb/mashro3pdf

يسرا.. وحشتيني يا حبيبي.. إن عظامى قد انسحقت بين شقي الملل والوحشة.

كانت عظامي لينة بأكثر مما اعتقدت.. ربما كان للأنوروكسيا أيضا دخل في ذلك.. كانت عظامي لينة، منثورة خلاياها على صدرك.

هل تذكرين أول أمرنا معا؟

كنت أحس أن كل ذلك سوف يأتي.

كنت أشتمُّ رائحة غبار السفر.. كنت محطة توقف قصيرة جدًّا يا يسرا.

أقصر من انحناءة ضوء متسرِّبة في ثنايا النسج.

كنت أعرف أنني سأحمل نيري على نصف ظهري.. وحدي.

حاولت الابتعاد في البداية.. لكنك جذبتني داخلك بعنف.

وأنت غارق فيها تفكر بالرجوع أو النجاة.. تفكر أن ذلك من الممكن أن يحدث.

فتعال إلى نصف بحرها وقبِّلها.. قبِّلها بروح الزاهد ولهفة العاشق.

fb/mashro3pdf

وعانقها.. وهي تهمس في أذنك اليسرى: قبلني.. ثم افشخني كما لم يحدث قبلا لأي امرأة.. فلما تنتهي مني عانقني.. عناق من فقدني ووجدني من جديد.

تعال إلى نصف بحرها وودِّع عيونها هناك.

هناك حيث لا يكون مجال للخلاص منها إلا بالمزيد من الغرق فيها.

و لا تطلب الحجة منها،

إن القدر لا يُسأل..

fb/mashro3pdf

(12)

أحس بحضورها في المكان..

مرة أخرى لم يكن ذلك سهلا عليَّ. ليس خوفا أو رهبة ولكن حضورها ثقيل في ذاته.. يثقل ذلك على حتى أتصبَّب عرقا ويبتلُّ جسمي من الشعور.

تتمدد عروقي وتزيد حرارة جسمي وأعجز عن التفكير والتحكُّم في الأمور.

أتشنَّج.. يبدأ ذلك من أطرافي البعيدة.. من أصابع قدماي حتى يدي.. تلتوي يداي عليَّ.. أتألم.. أشعر بأن عظامي ستتكسر.. أتألم أكثر حتى يكتمل حضورها.

يحضر ما لا أراه أو أفهمه تماما. لكني أحسه بقوة وتحسه كل خلية في جسدي.

موني: ما لا يدرك كله.

- يوسف: هل يمكن تبرير الخيانة.. يسألها.
- موني: في النهاية يمكن تبرير أي شيء.
- يوسف: كيف؟
- موني: يعتمد ذلك على آلية عملها.

fb/mashro3pdf

- يوسف..... صمت.

- موني: فكر في أن الأشياء التي تعمل بكفاءة سيجد الإنسان تبريرا لها.

- يوسف: وستجد طريقها إلى الاستمرار.

- موني: وستجد طريقها إلى الاستمرار.

- يوسف: برِّري لها الخيانة.

- موني: أبرّر لك.

- يوسف:... صمت وهو يمسح بيديه على وجهه.

- موني: فكِّر في أننا إذا مددنا الخط على استقامته سنجد أن الخيانة حلقة في سلسلة يسبقها الوعد ويليها السخط والحاجة إلى التطهر والغفران. ثم يتجدد الوعد والخيانة وهكذا.

- يوسف: أفكر في بشاعة الأمر..

- موني: إذا خنَّا أشخاصا أو أشياء عاهدناها لصالح عهد أشخاص جدد. هل تعتبر هذه خيانة أصلا.. اعتبر ذلك ضروريا للتطور.

- يوسف: أنت مختلَّة لا أكثر.

fb/mashro3pdf

- موني: كالذي طلب مني تبريرا في البداية ثم سبَّني بعد ذلك.

- يوسف: أصفك ولا أسبُّك.

- موني: سبَّني يا يوسف.. وهي تبتسم برضا.

- يوسف: لا داعٍ لذلك.

- موني: لا داعٍ لأي شيء.

- يوسف: برّري لها.

- موني: أبرّر لك.

- يوسف:.... صمت.

- موني: الأشياء تخون بعضها بطريقة آلية ومحببة: يخون الوجود العدم وتخون الصحة المرض وتخون الصياغة الأدب ويخون النبض السكوت.

لو نظرت فعلا ستجد أن الوجود كله يخون بعضه بعضه خيانات متبادلة بدون ذكر أسباب. وحدهم البشر هم من في حاجة إلى الأسباب. فكر في أن الأمور تحدث لأنها تحدث وليس هناك سبب لذلك.

- يوسف: لكني لم أخنها، ماذا فعلت حتى أستحق ذلك؟

fb/mashro3pdf

- موني: عدنا إلى الغباء.. هل ستبكي الآن؟

- يوسف: أفضل من التي لا تحس.

- موني: فعلا يا يوسف؟ هل تصدِّق فعلا أن الإحساس أفضل من عدمه؟

- يوسف: يقال إن الإحساس نعمة.

- موني: يقول الذي لا يفهم.

- يوسف: ولكني لم أخنها مع ذلك..

- موني: هل تعتبر ذلك ميزة لك تستحق عليها جزاء وشكورا؟

- يوسف: لا.. لا.

- موني: ربما لم تجد الفرصة لخيانتها.

- يوسف: كان ذلك متاحا لو أردت.

- موني: قصدت الرغبة وليس الإتاحة.

- يوسف: كبحت نفسي كلما أردت.

- موني: هل أعجبك؟

- يوسف: أنت جميلة..

fb/mashro3pdf

- موني: هل أعجبك؟

- يوسف: لا أعرف..

- موني: هل تريد أن تعوِّض لنفسك؟

- يوسف: (باستغراب) هل يصل التعاطف إلى هذه الدرجة؟

- موني: لا، كنت أفكر في قتل الملل لا أكثر.

- يوسف: تشعرين الآن!

- موني: ربما.

- يوسف:..... صمت.

- موني: ولكنك مثلها، هل علمت؟

- يوسف: يستحيل (بغضب).

- موني: عليك مواجهة الحقيقة.

- يوسف: وما هي؟

- موني: يوسف، أنت خائن مثلها.. لقد خنت نفسك. فما الذي يجعلك تعتقد بأنك أفضل منها..

- يوسف: أنا حر بنفسي.

fb/mashro3pdf

- موني: والبنت حرة فيك.

- يوسف: (بحزن) كيف يتم خلط الأمور إلى هذا الحد يا مجنونة؟

- موني: كيف يتم فصل الأمور إلى هذا الحد يا ولد؟

- يوسف:..... صمت.

- موني: لقد كانت جيدة جدًّا.. افتقدت التبرير لخيانتها لا أكثر. وربما لم تجد من تثيرك أكثر منها.. من تتوقع بأنها تعطيك بأكثر مما أعطتك هي.. ربما لم تجد الشفاه المكتنزة أكثر ولا النهد الأكبر ولا المؤخرة الأعلى ولا الصوت الأحلى.. لقد علقتَ مع كل ذلك.. لكن ولأن الخيانة تجري من الإنسان مجرى الدم.. لم تتقبَّل فكرة أن بنتًا ترفض. أن بنتًا تقول كفى وترحل ببطء.. لم تتقبَّل حرية اختيارها، لم تتقبل ذلك فخنت نفسك وحرقت روحك من السخط لأنك جاحد. والآن من تحبها عاهرة في نظرك لأنها رحلت. خائنة على أقل تقدير.. وكسرت بيدك قلبك لأنك غبي.

- يوسف: كنت أحبها جدًّا.. هي من كسرت قلبي. وهو يبكي.

fb/mashro3pdf

- موني: هذا ما طلبته مني..

- يوسف: الحقارة؟ هذا ما أجده من كل الناس.

- موني: التبرير.

التبرير: هو مفتاح حل عقدة الذنب البشري وبوابة الممكن إلى الطهرانية..

- يوسف:.... صمت.

- موني: إن ماكينة التبرير الإنسانية فضلا عن إثارتها للسخرية والضحك، لم تتطور بالقدر الكافي حتى الآن..

أليست الخيانة كنقض للوعد هي أكثر تحقيقا له من وفاء معدٍّ مسبقا للنسيان؟!

في النهاية لن يتم ذكر لا الوعد ولا الشخصيات ولا الخيانة بقدر الإشادة بمتانة الدراما وعذوبة الحكاية..

- يوسف: ماذا نفعل الآن؟

- موني: ننتظر..

- يوسف: سأهرب منك.. يقول لها بإصرار.

- موني: كيف ستهرب من نفسك؟

fb/mashro3pdf

- يوسف: أنا أعلم بنفسي.

- موني: لست إلا مدعٍ.. ترد بثقة.

- يوسف: سوف أهرب مع ذلك..

- موني: اهرب.. هل تراني أقيدك؟

- يوسف: سأجري.. سأجري حتى أتبخر وينعدم وجودي.

- موني: كما تجري الأمور في بلدك.. بنبرة تعالٍ واستهزاء.

- يوسف: آه.. بلدي.

- موني: سأعطيك فكرة عن الجريان.. من سيجري ممن في النهاية؟

- يوسف:... صمت.

- موني: هل تريد أن تعرف؟

- يوسف: حملت طوال عمري عبء المعرفة.. يجيب بندم وشفقة على نفسه.

- موني: إن الأمور ستشبه ملحمة كبرى في التاريخ.. عواء أخير قبل السقوط.. صراخ مجنون يليق بنهاية جليلة لمسيرة الإنسان الممتدة من الفساد والقتل.

fb/mashro3pdf

- يوسف: ليس هناك في عينك شيء صالح؟ يسألها بحنق.

- موني: الكل زاغ وفسد.. ليس صالحا.. ليس ولا واحد.

- يوسف: ربما يوجد واحد أو ألف. يرد يوسف بأسى ورجاء.

- موني: أستحق على الإنسان الحكم.. ثم تستفيض موني في الحديث عن رؤياها بحماس شديد:

ستجري اللعنة وراء اللاعنين.. والكراهية وراء الكارهين.. وستجري الدماء بحثا عن القتلة.. ستعرفهم وتغرقهم.. ستصمهم بالعار والألم.. ذلك أشد من القتل.

عبثا سيحاول القتلة الخلاص من صرخات ضحاياهم.. دم الضحايا سيقطر من أيديهم، وكلما اغتسلوا انهمر منهم دم أكثر..

وستجرى الأعضاء الحساسة وراء الضباط الذين صعقوها بالكهرباء، الذين انتهكوا واستباحوا اجساد الناس وعذبوهم.

وستجري أعضاء البنات الجنسية المقطوعة والملقاة في الزبالة وراء من تسبب في ذلك الألم الرهيب..

fb/mashro3pdf

وراء الآباء ورجال الدين والأطباء الذين باعوا علمهم وضمائرهم والدايات الغبيات.. ستنقطع أعضاء كل من شارك في ذلك.. ستسقط عنهم على الأرض وسيشعرون بوجع أشد من ألم الحريق.

الناس يا يوسف تحتاج أن تجرِّب الوجع الذي تسببه لبقية الناس.. يحتاج الإنسان من فوق الأرض أن يئن كما تئن الأرض من تحته.. يحتاج أن يجرِّب في اليوم بالسبع ضربات حتى يرتدع.

- يوسف: كل جريانك نحو مزيد من الألم؟ بماذا تختلفين عنهم؟ إنك مجرد صورة أخرى أشد بشاعة للألم؟ صورة أقذر وأحقر؟
- موني: إن العدل مقدس.. وللطهرانية ثمن غال.
- يوسف: اللعنة على التبرير يا موني. يجيبها بمزيد من الحنق.
- موني: اسمع كيف تجري الأمور يا يوسف:

في البداية سترفض..

fb/mashro3pdf

ستصرخ بأقصى عزمك: إن الإنسان مكرَّم لا يصح أن تحشروا في أنفه عفونة بهذا الشكل. لا يصح أن تطعمونا من لحم العالم الميت يا أولاد الكلب.

ستنكر الرائحة وتبصق الطعم حتى إذ يطول عليك غياب الدافع إلى المقاومة، حتى إذ يجردونك من الشعور الآدمي وينقطع حسك ومقاومتك بسبب الجوع وكل الأشياء الأخرى، تفتح فمك جزئيًّا على استحياء وباشمئزاز مصطنع وتبدأ بسحب القذارة إلى جوفك.

ثم يدفعك الشغف لتذوُّق الخرة.. وإذا هو مصدرك الوحيد، وإذا هو طعامك الباقي ستمرره فيك أكثر.. بحب ونهم هذه المرة. وإذا توقف ستندفع إلى الجنون طالبا المزيد. ستمحى منك الإنسانية. ستنساها كأن لم تتذوقها يوما أو تعشها لحظة.. ستفقد حاسة تمييزك للأشياء.. ستفقد طعم ورائحة الحياة.

وإذا حدثت فورة لك وثرت على ذلك.. على كل الأوضاع المزرية. فثورتك ستكون كممحاة تمسح خطوطهم في حياتك، ثم تخط بيدك نفس كلماتهم الأولى.

fb/mashro3pdf

ويحدث أن ترفض القذارة التي تشوّه شارعك ثم تتشارك معهم في رمي المخلفات.

ويحدث أن تصم أذنيك عن الاستماع إلى موسيقاهم المبتذلة وتشنجهم الديني وصراخهم المريض ثم تضبط سماعة أذنك على نفس الموجات الفاسدة.

ويحدث أن تسب الحاكم بصوت خفيض ثم إذا قامت الثورة عليه سببت الذين قاموا بها بصوت عال. إنه التبلُّد الذي تتضاءل معه القيمة من الأشياء. فلا يستأهل معه الانتحار عناء التفكير في طريقة لائقة للنهاية.

وعندما يصبح الانتحار خيارا مقربا: سترجع إليك.

ستجري البنت التي غابت عنك وراءك في نواصي الشوارع.. تبحث عن أثر ظلك في المدينة لتسلم لك اعتذرا مفتوحا من الندم والعشق.

لتقدم لك عينيها إن أردت حتى ترضى عنها ويتلمَّسها سلامك ويحلُّ عنها السخط.. لكنها لا تجدك.. تبحث في كل مكان ولا تجدك يا ولد.. حتى إذا رأتك لا تتطلع إليها وتتركها بلا

fb/mashro3pdf

نظرة.. تتركها تأكل نفسها ببطء وتأكلها نفسها من الندم وأنت لا تعود تحبها ولا تشفق عليها بعد.

- يوسف: يبدو لي ذلك عادلا بعد كل ما حدث.. يرد عليها يوسف بسخرية وأسى.

لكن كل جوانب رؤياك مريرة هكذا؟ يسألها باستغراب.

فتجيبه بثقة:

- أحدثك عن الجانب الجيد: أعطيك علامة لتعرف، تخيل أن يأتي الأمر للناس في الشوارع.. بغير معرفة منهم أو إرادة.. أن تسمع أصواتهم الخاصة وهو يأتيهم. ماذا سيحدث حينها؟

سيأمر القادة والكهنة والمشايخ والدم يغلي في عروقهم: اقبضوا على كل الإباحيين الذين يأتون ذلك علانية. لا تتركوا أحدا متورطا في الأمر إلا وسجنتموه.

كل من له علاقة اسجنوه.. كل من أحب.. كل من شارك.. كل من بارك أو تعاطف. اسجنوا الجميع حتى ينتهي الأمر.. وينكتم الصوت الفاحش.

وتتابع:

fb/mashro3pdf

لكن تخيل أن الذي بدأ بغير تحكُّم من الناس وعلى استحياء، بات ينادى به على السطوح. سيبدو ذلك مضحكا في البداية. سيبدو مزعجا وفجًّا.. سيحاولون تجاهله لما يفشلوا في منعه. لكنه يزيد ويزداد أعداد المساجين بسببه. سيزيد القمع. حتى يصيب الأمر القامعين. في بيوتهم وفي أهلهم وفي أنفسهم. سيصعق المجتمع وتنهار البنية التي قام على أساسها التحالف الذي يحكمه.

إن العفة المصطنعة التي قتل على مذابحها الملايين من البشر وقدموا قرابين للوهم على مر العصور، ستنتهك بشكل شامل وجارف وغير مفهوم.

لن تضيع الدموع التي انهالت في الليالي من ملايين البشر. بحور الدموع التي جرت في الليل وأغرقت الأرائك والأسرَّة من وطأة الحرمان والقمع والتفريق بين الناس سوف لن تضيع وسيأتي يوم افتقادها.

سيتم حرق كل شيء

ليس من أجل الانتقام أو القصاص وحده.. فالنقمة لا تبنى

لكن من أجل التطهر.. استحق الحرق على كل شيء.

يوما ما سيرى هذا البلد عجبا.

fb/mashro3pdf

أحسست أنني أرى الأمور أمامي معها.. تمثلت في عيناي رؤياها.

وشعرت بالوهج والإثارة. كلام موني معي عن الجريان والثورة لقي في نفسي أثرا لا يمحى. أثرا ما بين الصدمة والتوقع. بين الرغبة والرفض. بين الانجرار والخوف. شعرت برهبة حقيقية تجتاح جسدي.

حتى وإن لم يحدث ذلك أصلا فإن مجرد تخيُّل حدوثه قد أعطاني دفعة كبيرة من التوهُّج وأعطى النسج شيئا من حركة مفتقدة بعدما حكم الملل فيه ألف عام. وبعدما أهمل الحساب وامتدَّت الألف عام إلى ما بعدها.

رأيت الأمور أخف.. شعرت بثقل جسدي أخف على السرير. شعرت حتى بخفَّة الأشياء: خفة النفس وحركة الصدر. اعتدلت في مجلسي.. شعرت أنني أفعل ذلك بيسر. كأن هناك مادة جديدة منثورة في الجو قد ساعدت في حملي.

وقفت على الأرض، شعرت بأنني أخطو على خيوط من حرير، وأن أصابع قدماي تكاد تغوص في الأرض من الرقة. رأيت المكان يدور من حولي.. رأيت ألوانه أنصع وأنقى. والأشياء تدور من حولي وأنا ثابت، أو أنني أدور ببطء معها. لا أشعر بالدوار. أشعر بخفة كخفة الطير. ولا أريد أن ينتهي ذلك.

fb/mashro3pdf

أشعر بأنني حر. والحمل الذي أثقل ظهري قد غاب عني. ربما أفتقده قريبا، لكن حتى الآن لا أفتقد شيئا. أشعر بأني قد تحررت من الكتابة. من الحكي. فشخت القصة. تحررت من الحبكة. تخلت عيناي عن التوهة عن الفكرة واللمحة والذكرى.

كانت رؤياها محررة.. تخيل أن ينهار النظام.. ينهار في قلوب الناس. بشخوصه ومؤسساته وقيمه الحاكمة بالترهيب والترغيب.

تخيل أن يدمر حدث سري، يحدث ملايين المرات في اليوم، النظام الذي سقى الناس سوء العذاب.. إذا حدث بصورة جماعية مغايرة.

تركتني موني أيضا.

كانت تأتي بلا ميعاد وترحل بلا سلام كيسرا..

**

fb/mashro3pdf

(13)

أبريل

أنت في أسر الجزء غير المروي من الحكاية. الحبر الذي ترى به هذه الكلمات. الشيء الذي تسمع عنه في الحكي ولا تفهمه تماما. أنت في أسر المعنى غير المكتمل. والشيء الذي يحولك لبشري والبشر الذين يحولونك لشيء. أنت في أسر المحنة ما بين التشيُّؤ والأنسنة. والنشوة غير الموصولة والآهة المكتومة والرغبة الباطنية في تحسُّس ملمس جلدها على جلدك لآخر مرة، وهي تطلب بإلحاح أن تشقق ما بين فخذيها إلى نصفين تعويضا عن سنين الجوع والجنس غير المشبع.

**

غربة بعد حضنك

وشفايف خايفة وزرقا

بعد شفايفك

كل حاجة بطعم وريحة الغربة بعدك.

**

fb/mashro3pdf

لا أحد هناك يحتمل.. لا هي احتملت ولا غيرها.. كيف يتم التعامل مع هذا القدر الكبير من القلق والاضطراب الذي تمتلكه ويمتلكك؟ فلا تطلب من أحد الانضمام ولا تلح على أحد للبقاء.. افهم أن الأمر كله يتم تضخيمه ليتناسب مع حدود السماء غير الموصولة.. ليتناسب مع الرغبة في إنشاء معنى والعمل على الإيمان به.. لكن أنت تعرف أنه لم يكن هناك معنى لأي شيء لا للميلاد ولا للدراسة ولا للعمل ولا للموت أو الحب.. الكل يكذب من أجل تحاشي النظر للحقيقة.. ليس هناك شيئا أعلى ولا حتى شيئا هنا..حبّيتها عشان ضحكتها.. يمكن ما كانتش حلوة للغاية.. حبيتها عشان حسيتها.. يمكن كنت بتحس أكتر شوية.. حبيتها عشان عيطت عشانك.. زي ما بتعيط على نهاية أي فيلم حزين.. حبيتها عشان لمسة إيديها.. يمكن كانت.. مش عارف..

احمل صليبك وحدك واتبع التعليمات الآتية:

ليس هناك من يحمله عنك إذا سقطت

تقبَّل بصاق حملة مشاعل المطلق.. ستحرقهم نيرانها في الأخير.

اسمع لعن من حولك ولا تستمع لهم.

fb/mashro3pdf

تصالح مع أخطائك واعلم أن الألم الذي أنت فيه الآن قد طهَّرك مقدما.

ارتشف الخل مع الإثم واذكر من أحبوك بالاسم وابتسم بعين الرضا.

ولا تنسَ

ليس هناك شيئا أعلى ولا يوجد شيء هنا..

**

إن إثريدك لم يفارقني

**

في الطريق ستضطر لأن تترك أو أن يتم تركك.. فودّع الأشخاص والأشياء على وعد بلقاء آخر لن يحدث غالبا إلا في عالم موازٍ لنا.. تترك اليوم مكانك المفضل.. صومعتك السرية.. ولا تعلم متى تنتهي هذه التغريبة المستمرة.. كيف صارت الغربة والوحدة مقربتان إليك لهذا الحد؟! عند زاوية قائم المكان تتذكرها.. يوما ما توقف الزمن عند هذا المتر المربع حيث وقفت هي ورجعت بظهرها إلى زاوية الحائط وقالت: تعرف أنا حباك

fb/mashro3pdf

فشخ.. قالتها بحزن وأمالت رأسها إلى الأمام حتى ظلل شعرها الاسود الرغبة من بين عيونها..

فاقتربت منها ومسحت بيدك على رأسها المنخفضة واحتضنتها بعمق.. تقف الآن وحدك وتكتب على الحائط بقلم ما اسمها واسمك وأول حروف لكلمات سرية لن يفهمها أحد غيركما.. تنظر للشاهد وتبتسم وتردد في خفوت كلماتك لها وقتها: افتكري المكان ده يا يسرا وما تنسيش إني حبيتك.

وتحمل أثقالك على ظهرك وترحل بغير هدى..

**

لما كل الناس شافوني زِفْت

أنت شفتني شهد وحلو

ولما كل الناس بعدوا عني واتجاهلوني

أنت قرَّبت مني وغطتني ومسحت بالزيت على راسي

ولما كل الناس احتقرتني وبصقت على وجهي

أنت غسلت رجليا بدموعك

fb/mashro3pdf

**

لأنك لا تعلم أن المرة الأخيرة هي المرة الأخيرة دائما تشعر بأن لديك مرة أخرى أو مرات أو للأبد لكن ليس لديك..

سأقول لك إلى أي حد نحن ضعفاء؛

إلى حد احترقت عيوننا من الشهوة والدموع.

**

عن أول فجر يطل بعيدا عن عيونها، وآخر ليل يهرب خجلا لما أمالت رأسها وقالت أنا حزينة للمنتهى..

**

لن يحدث أي شيء.. مجرد فقد آخر.. سوف لن تنام قرنا ثم سوف تجف دماء عروقك ويحل محلها دخان السجائر.. خلايا جسدك ستأكل بعضها بعضا ثم تنهك قليلا وتبدأ أكبر عملية انتحار جماعي.. لكنك ستصمد لتراها مرة أخيرة بالصدفة وتحتضن عيناها كالعادة ولن تجرؤ على السلام، ثم ستقف وحيدا بعدما تمر من أمامك مولية ظهرها لشبح آخر رجل صادق بدأ يفقد خلاياه تباعا محرقة على مذبح آخر إلهة ماتت ألف مرة من داخلها، قبل أن تدفع الجميع إلى التضحية

fb/mashro3pdf

بذواتهم علَّها ترجع وتشعر ثانية.. تولي لك ظهرها فتصرخ: على فكرة أنا حابِّك يا يسرا.. فلا تسمعك، ولا يسمعك أحد.

**

يوم كانت عيونها الخجلى تلوذ بالحزن من حافة الفوضى.. يوم كنت بقرب النبع ألوذ بعيونها من متاهة الضياع.. يوم كانت شفاهها العطرة تلوك الحب من بين الفقر ويوم كنت أقرب لها أغطي ظهرها من سياط الجلد كانت أيام أحلى.. كانت أيام

ويوم سيصرخ كل الجمع للجبال: احمينا.. وللأكام: غطينا. يومئذ لا تبكين عليَّ بل على أنفسكن وسلام حتى مطلع الفجر..

**

مارس

مجرد رغبة في التحرر. في الانعتاق من اللذة.. واللذة رديف الألم. فرغبتها وتوقعها وتجرعها وفقدها ألم.. رغبة في التحرر من عبودية الأكسجين في الجو والجلوكوز في الدم.. من تأليه الهوة والقائم والصوت وقت النشوة.. أنا غائب اليوم.. أو مغيب لا فرق.. غدا سأعي حجم الإثم الذي اقترفته على نفسي وعلى من أحبني. اليوم فشلت في التحرر مما أسرني.. وغدا سيطلقني في الشوارع البليدة منهكا وحدي.

**

fb/mashro3pdf

سامع صوتها مخدر

صوت نفسها مخدر

والآهة غير المحكومة

وكل نبضة في عروقها كانت حب

وكأي مخدر.. هتقدر تتحمل أعراض الانسحاب؟

**

كل من حولك يرحل وأنت تجلس بمؤخرتك على جدار الزمن لتستمني. كل شيء يتغير بسرعة أو ببطء وأنت لا تتكلف عناء مراقبة التغيير الذي سيدهسك نفسيا فيما بعد. هناك كدمة زرقاء على صدرها بعد أن اضَّجع معها حيوان آخر لم يحبها. وهناك تهتُّك في شبكة روحها وتسريب عنيف لماء حياتها من بين فخذيها. هناك موت آخر ينتظرك على أول الطريق. هناك صرخة جوع في منتصفه وفي آخره تستغفر ربًّا لم يجبك أبدا. وفي آخره تجلس هي على مصراع الأمل في أن تلتقيا يوما من جديد في الوقت الذي يقبع على صدرها ملل حاد وفراشة ملونة تهمس في أذنيها بتعويذة سحر قديم: أن عودي إلى صوابك. أن تخلى عن جنونه. اليوم أنجيكِ ببدنك ليكون لمن خلفه آية.

كل شيء يتغير بسرعة أو ببطء. وأنت لم تزل مؤمنا بالحب والكلمة والوعد ومصيرك المعقود في جيب قميصها الأزرق.

fb/mashro3pdf

أنت في أسر الآخر. آخر كل شيء

آخر ضمة لها وآخر حضن

آخر كلمة بحبك اتقالت

آخر آهة منها

آخر بوسة وآخر لمسة

آخر أغنية سمعتوها سوا

آخر سحر قالته على سمعك

آخر شتيمة قلتها بحب

وآخر سلام ما اتقالش

وآخر مخدر ادِّيته لروحك قبل ما تمشي

يا ترى هيعيِّشك قد إيه؟

**

عن آخر مرة تقولها بحبك

عن آخر مرة تقولها عنيكي بتفشخني

وآخر مرة تقولها جسمك بهيجني.. أنتي جميلة فاشخ في عيني

عن آخر مرة تقولها أنا عاوز ألمسك عشان بحبك

fb/mashro3pdf

عن آخر مرة تقولك بحبك

عن آخر مرة تقولك أنا حابَّة وجودك

عن آخر مرة تتكلموا عن الوعد وعن كلمة السر

عن آخر مرة تسألها إنتي كويسة؟ مبسوطة؟

عن آخر مرة تقولها خلّي بالك منك.. سلام

قبل ما تلمس إيديها لآخر مرة وتقولك سلام هنتقابل بليل..

والليل يوصل بالليل واليوم ورا اليوم وأنت ما كنتش تعرف إنها آخر مرة وإنه خلاص كدا

يمكن لو كنت عرفت كنت ركزت أكتر.. حسيت أكتر.. حسستها أكتر.

حاول تركز في كل ثانية مع أي حد حابُّه.. لأنه ممكن تبقى دي آخر ثانية تشوفه فيها وتسمع صوته.. فـ"احضنوا الحاجة بضمير لأنه اللي باقي مش كتير".

**

كانت تقول لي أنا أحبك

كانت تقول لي أنت جيد بأكثر مما أطلب

وكانت تلفني كالعقد حول جيدها

وتأخذني كالجنين إلى داخلها

fb/mashro3pdf

وكانت تقول لي أنا مستقرك وهنا محياك وبعثك..

ثم ذهبت وتركتني وحدي كما فعل الجميع..

**

يناير

11 شهر على غياب يسرا الأخير..

لقد انتهى كل شيء الآن.. قرر الكون أن يرضى أخيرا وراح كل الألم.. انتهى المرض والفقر والحزن والحرب.. انظر حولك.. كل الناس تفشخ شفاهها وتضحك.. تعم الاحتفالات الشوارع والكل يرقص في نوبات من الفرح العارم.. ذهب القلق أيضا.. لن تخاف من الوحدة أو الفقد أو التدخين.. لن تحتاج أحدا أو يحتاجك.. ولن تشتاق لأحد أو تحب أو تكره أحدا.. طمست كل الذكريات السيئة.. طمس كل الوجع. الآن نتجرَّع النشوة بالقنطار وتغمر الفرحة حد العيون.. أنا بخير وأنت بخير والكل بخير.. لم يعد شيئا مهمًّا.

**

27 يناير.. آخر تدوينة كتبها يوسف:

4 مرايا في بيتي وكل مرة أرى نفسي شخصا مختلفا..

4 مرايا تصمت عندما أتحدث، حتى لو لعنتها تصمت..

fb/mashro3pdf

وهذه مرآة مسحورة، تأكل صورتي بنهم وتظهر منها صورة البنت ورائي،

تربت على كتفي برحمة وتقول لي: لا تخف عندما أضيع منك في الزمن.. ستتمنى لو قتلتك فعليا قبل أن أرحل. لا تخف، ستحب مني الموت، كما أحببت مني كل شيء آخر.

**

fb/mashro3pdf

(14)

يتمدَّد نظري إلى الأفق وأنا في تجمع ما لا أتبين كنهه بالتحديد..

زحام في مكان متسع يشبه الصالات الرياضية المغطاة، تجمع شبيه بالذي تراه بعد الكوارث في الغرب..

وأنا هناك جاثيا على ركبتاي محاولا التخفيف من بكاء طفل ما لا أعرفه ولا أعرف حتى سبب بكائه.

أراها بالصدفة.. واقفة بالجوار تتحادث مع شخص ما..

أو أني قبل أن أراها قد أحسست بحضورها، حضورها القوي الذي يتملَّكني حتى في غيابها.

أراها كأول مرة.. كأول غياب في سحرها

تبدو كالعادة جميلة.. وإن بدت أكثر نحافة وبدا وجهها أكثر شحوبا

يسرا.. قد إيه أنا عاشق حقيقي للتوهان اللي في عيونك؟

تحت وطأة الذكرى والحب الذي تخيلت أنه هنا.. أهملت الواقع.. الولد والتجمع ونفسي.. ماذا يعني كل شيء؟ لا يهم.

أثبّت نظري عليها لعلها تلمحني.

fb/mashro3pdf

وحشتيني.. حد الموت وحشتيني.. زي أول مرة شفتك.. زي أول مرة وحشتيني وأنتي معايا يا يسرا.. زي أول مرة تعيطي فيها على صدري وحشتيني.. زي أول مرة تغيبي عني وأول مرة أشوفك فيها بعد رجوعك.

وحشتني عنيكي بتضحك وتتوه.. وإيدك وهي بتسلم.. وشفايفك بترتجف وتهدا.. وحشتيني زي أول مرة أشوفك في الحلم.. زي آخر مرة أشوفك في الواقع.

وحشة تتسلل إليَّ من نبض الشريان والغياب وزياراتك الخفيفة في المنامات..

مزج ليسرا

ليس لأحد

لا أتوقع أن يتوقف أمامه أحد

مرثية لروحي

التي قدمتها

على حجر يسرا

لكنها لا تتطلَّع..

fb/mashro3pdf

ربما لم تر.. أو أنها رأت فخافت أن تتطلع واستمرَّت بالحديث مع نفس الشخص الذي يبدو لي من بعيد ظلًّا شبحيًّا لماضيها..

يسقط النسج في الفراغ ولا أعلم لِكَم.

ثم يحدث أن أرى أنني أتمشى معها في شوارع مدينتنا الفرعونية.. تحديدا في الشارع الموازي لجزيرة البحر. لكن ألوان الشارع أصبحت مختلفة في النهار.. كأن بهتت منه أجزاء ولمعت منه أخرى حتى بان رائقا كصفحة النهر.

ووقفت يسرا أمامي برَّاقة كالشمس.. نورها يسحب تنورتها الطويلة وراءها..

والشارع خالٍ، متسع، طويل ونهاره بارد ونسيمه يلثم وجوهنا بخفة ودلع سقته البنت للمكان.

نحكي معا ولا أميز الكلام أو لا أذكره..

يسرا.. إن الحكاية مروية على صدرك

وإن الرواية مسكوبة على خصرك

وإن ساردها مطوي في دربك

fb/mashro3pdf

دربك الذي ارتأت الحكمة أن تزيّنه بالورد والسكر وعناقيد العنب الأخضر ورعشة العيون في شبق عزيز دخل محنة الاختبار..

ثم يسقط النسج مرة أخرى..

وتعود الرؤية إلى نفس صالة التجمع السابق. ليلا وقد هدأ صخب الحاضرين وتراخت العيون من التعب.. ونام الناس بجوار بعضهم على أرض الصالة.. ونمت أنا في حضنها وهي ملتصقة إلي من ظهرها أمام الكل.. بلا خجل ولا خوف ولا تفريق..

وأنا أهمس في أذنها:

عارفة إني باشوف وجهي القديم في عيونك.. بشوف نفسي وأنا صغير.. وأطلع على روحي قبل ما تتجرح.. في حضنك.. وحشني أنا معاكي.. براءتي وأدبي وأملي.. كل الكلام القديم ده راح مني.. بشوف طيفه بس في عيونك.. بشوف وقتنا القديم سوا.. قد إيه كان حلو وقد إيه جري بسرعة.. إنسان بلا ذكرى هو موت، وأنا ذاكرتي في عيونك.

تقبلني على آخر خدي قرب شفتاي وهي تهمس بصوتها الرخيم:

fb/mashro3pdf

يوسف.. ما تزعلش مني وما تفكرش فيا بسوء، أنا مشيت عشانك، عشان أنت تكمل، يمكن مش هتعرف دلوقتي ومش هتشوف اللي أنا شايفاه.. بس اعرف إني حبيتك وهفضل كدا دايما.

يسرا.. تعرفي إني لم أخجل أبدا من اللي بينا.. دايما حسيت بفخر لوجودك معايا وجنبي.. حسيت بالامتنان لشجاعتك أمام سؤال الحرية والاختيار.. لهروبك المستمر من سجن مجتمع مسكون قلبه بالكراهية والعار والنفاق.

يسرا، شوفي الكل.. في النهاية الكل نام على الأرض واستوت صفوف الناس ودابت الأنا الرهيبة أمام الحب والمحنة..

وإنتي كنتي وهتفضلي دايما قدام الارض والشمس والكون.. وبين ثنايا الوعي ومطوية الزمن.. قدام الناس والتطور والرفض.. كنتي وهتفضلي حبيبتي ورفيقتي وصاحبتي.. ويشهد علي إنتي وكل كلمة حب في السرد وكل دمعة انسابت على جسمك وعلى الورق.

النور مكسوف يلمس جدار الحقيقة.. واقف بخفة يقولك:

دوقتهالك أنا بس تاني عشان كانت وحشاك قوي.. لحد الصبح سبتها نايمة في حضنك.. وهي بس كام لحظة كدا

fb/mashro3pdf

هتحس بيها بشكل أعمق.. كام لحظة هتخطف البنت فيهم اللي باقي من نفسك.

وهاخدها منك تاني للغياب..

**

يصحب جيمس مصوره إلى دار تنظيم الجنائز.. هناك حيث يوجد كل ما يتعلق بسيرة الموت.. أدواته ولوازمه.

يختار من بين توابيت الموتى المعروضة للبيع تابوتا أسود ضخما بداخله كفن أبيض وثير.. يفتح التابوت ويقفز داخله بهمة وخفة.. يواري نصف جسده السفلي في داخل الكفن.. وينادي على دينيس الذي يشعر بالريبة مما يفعله صاحبه:

- دينيس.. التقط لي صورا هنا.

يحس جيمس براحة وخدر يجتاحان جسده ويهمس إلى نفسه مشيرا بيده إلى السماء:

أووه أمي.. اشتقت إليك حدَّ الموت يا أمي.

وينام.

fb/mashro3pdf

عدة شهور بعد ذلك، في سبتمبر 55 يلقى جيمس حتفه أثر إصابته في حادث مروّع أثناء قيادته لسيارته البورش عن عمر يناهز الـ24 عاما..

**

fb/mashro3pdf

(15)

أدخل اليوم في طور جديد من الإعياء الشامل. أتحسس سائلا ينز من فمي.. لم أخف مشهد الدماء..

بالدم نولد ونموت، بالدم نتطهر ونخلص..

الدم يسرُّ في شفتاي ألا تخف مني فأنا منك..

الصداع ينهك خلايا مخي المنهكة أصلا.

هذه نوبة أصعب لا أحتملها فأبكي نهرا..

سأضطر لاحقا لأن أتغاضى عن زن طائر حقير من مخلفات التطور، خوفا من رفع كتفي الذي أشعر بأنه انخلع عني في مكانه..

يتضح إلي الآن أكثر أن الكل قد تركني..

الوجود تركني وأهملني واكتفى بمشاهدتي وأنا أتجرع مرارة الألم والمجهول.

**

مبرر جيد للموت.. لا أنت تموت.. بل أن تميتك الحياة ثم تحييك للحظات ثم تفارقك بعد ذلك وأنت حي..

fb/mashro3pdf

تلك اللمسة الملعونة التي توقظ بداخلك إحساس العيش، فما أن تعيش إلى الأقصى حتى تعيدك كما عهدت نفسك بدونها أول مرة.

مبرر جيد للموت.. ما بعد يسرا.

كانت فكرة الانتحار تراودني.. كنت أرى ذلك يتمثَّل أمامي. مؤخرا، أصبحت موني تتمثَّل إلي بخفَّة ولم أعد أشعر بوجودها الفعلي.

موني: فتاة لعوب ترقص بقربي لإغوائي.. تتحسَّس جسدي، تهمس في أذني: يوسف لماذا أنت هنا؟

ماذا تفعل هنا؟ لا فائدة من مقاومة الوجع الذي يكسر أوصالك.

وتقول: لن يتغير ذلك على حد ما أعلم.

لا يزال صوت موني يتردَّد في أذني: لماذا أنت هنا يا يوسف؟ خلِّص نفسك واتبعني.

حاولت جاهدا أن أشتت انتباهي.. لكن ذلك كان يتردد من داخلي.. كنت أسمع كلمة "خلِّص نفسك" ألف مرة في اليوم وفي كل يوم بعد يسرا.

11 شهرا وأنا أحاول التعامي عن الحقيقة، وأنا أحاول الفكاك من الفخ والنجاة بنفسي.

fb/mashro3pdf

11 شهرا وأنا أحاول مصارعة القدر والمصير والحنين وكبار السادة المحتجبين.

حاولت جاهدا استبقاء الحياة، لكن الحياة استخدمتني.. فلما فرغت حاجتها أو ملّت أو مال قلبها بعيدا، سابت قبلة على جبيني. قرَّبت يسرا شفتيها وكنت أحس بأنها جافة ربما لأول مرة.. كانت آخر مرة أتلمَّسها فيها.. مالت بشفتيها عند عيني وملّت قبل ذلك عيناها من رؤية وجهي.. تطلَّعت ناظرة للولد فيه مليًّا. وقبَّلته على عينه، وابتسمت بشكل خفيف.. وغابت.

لآخر مرة.

**

بعدها..

كل شيء وكل شخص وكل مكان وكل الكتب والروايات والاكتشافات والأفكار والصراعات والحروب والأبطال والمشاهير وكل الإلكترونات التي تبذل جهدا غبيًّا في مدِّ استمرارية الانجذاب والدوران حول أنوية ذرات كل المواد الموجودة في كوننا المنظور..

كل ذلك بطعم ورائحة السأم.. يبلل السخط حلقي ويكاد الدم يحرق أوردتي من وطأة السأم. ومن السأم يكاد يحرقني نفسي.. يكاد نفسي يشعل حريقا في غابة استوائية مطيرة..

fb/mashro3pdf

حريق من الفشاخة بحيث لا يقدر كل مطرها المنهمر على إطفائه.

وبغض النظر عن سؤال الجدوى من استمرارية عمل الأشياء.. الجدوى من مد الدوران والانجذاب والتنافر والحشر والتباعد والجاذبية والنسبية وأغلب القوانين الحاكمة لما نراه أو نحسه حولنا.. وبرغم كل شيء، لا يزال التعفُّن يحشر في أنفي وأنفك.. يحشر بالمقدار رغما عنا حتى إذ يصبح معتادا محبَّبًا وغير مقزز.. يصبح جزءا مني ومنك.

أنا وأنت والجميع غارقون في التبلد. إن كنت لا تعلم. وأنا أكتب إليك ذلك بصدق وبنصف روح ممزقة. إن هذا البلد غارق في التبلُّد ومحاكاة الحياة برداءة فائقة، وبينما هناك ممثلون جيدون في اصطناع الرداءة، هناك أنا: ممثل فاشل لا ينفكُّ عن سبِّ ما يحدث لكنه لا يجرؤ مع ذلك على ترك المهنة التي توفر له مكانا خاصًّا يحترق فيه تحت الشمس.

ما بعد حبيبك مبرر جيد للسب.. للارتكان.. لتقبُّل حشر القذارة في الحلوق..

للسأم.

لتبلد يحاول جاهدا أثناء الملل إماطة شراع الاستفحال.

لقد سئمت نفسك.. وأنت تعلم إلى أي حدٍّ هذا سيئ.. كل من يأتيك ترده خائبا عندما يرى نفسه في مرآتك. يرى جسمه

fb/mashro3pdf

عاريا في عينيك، ويسمع أفكاره مروية على لسانك وردوده متوقعة بين يديك. ولا أحد يخيب ظن العدم كما تعلم.

**

ثلاثة عشر حبة من البروزواك وخمس حبات من الفاليوم وشريط كونكور..

أتمنى أن يفي ذلك بالغرض؟

الآن ماذا سيحدث؟

لعل ذلك يكون سريعا.

اللعنة على الانتظار..

**

في الأثناء أفكر في كل ما حدث.. سنتان ونصف تكفي جدًّا للرؤية..

كنت أعلم أن ذلك قادم بشكل ما، لكن كنت أتجاهل الحقيقة أو كنت أقول.. ربما لا يأتي.. ربما تتحسن الأمور.. ربما سيتم إنقاذي في النهاية.

لكن ذلك لم يحدث على حد ما أعلم.. لقد خسرت حربي مع الملل، وكل الأشياء السيئة قد انتصرت عليَّ لتدفعني نحو النهاية المقررة.

fb/mashro3pdf

الآن فقط أفهم.. غيابها ورجوعها كسر قلبي.. غيابها النهائي مزَّق حشا مخي.. الطريقة نفسها مؤلمة للغاية. كنت أحتاج منها إلى تبرير محتمل.. إلى قبلة وداع.. وسلام بارد على أمل بلقاء قريب لن يتحقق.. لكنها ذهبت بطريقة درامية تماما تليق بها.. تليق بكل الجنون الذي خضناه معا.. احتملت كل الكذب وكل التعب النفسي. فقط لم أحتمل انعدام المبررات. أو بمعنى آخر انعدام رغبتها في إعطاء أي أسباب. كأن ذلك عادي.. كأن الذي بيننا سراب خفيف.

حتى آخر لحظة لا يزال يلحُّ عليَّ سؤال وحيد.. أين اختفت يسرا؟ أين ذهبت بعد ليلة القصر؟ أين ذهبت؟ لقد سألت العالم كله عنها ولم يعلم أحد.. واقتفيت أثرها في الشوارع كالدراويش والمجاذيب ولم أعثر على شيء.. كان ذلك محطما لي.. كيف تم سحبها من جواري ليلتها؟ كيف رحلت دون أن أحس؟ كيف كان ذلك سهلا جدًّا؟ وكيف بات ما بعده رهيبا بالنسبة لي.. كنت أريد إجابات لا أكثر.. لا أريدها.. لا أريد أن أمسَّ طرفها مرة أخرى. فقط كنت أريد أن أعرف ما الذي حدث فعلا يومها..

الآن فقط أرى.. طوال الوقت كانت موني هي يسرا.. ما الخلل الذي حدث لي وجعلني أعتقد أن هناك في البلد فتيات فرنسيات يدرسن التاريخ فعلا؟

fb/mashro3pdf

اضطرب عقلي جدًّا.. أصبحت مريضا من كثرة الحبوب المخدرة والمهدئات.. اختلط عليَّ الواقع والخيال.. كنت أحتقرها بشكل ما.. في كل مرة رحلت يسرا وعادت قبل غيابها التام كانت تعود كموني. لم أتقبل فكرة أن تفعل يسرا ذلك بي.. ثم لم أتقبل أن أرفضها تماما وأغلق أمامها باب بيتي، فربما تنهشها كلاب الشوارع.. فكانت الحيلة النفسية: لقد رحلت يسرا فلما عادت كموني كنت قد رحلت أنا.. ولم أعد.

أحيانا ألتمس لها الأعذار.. من التي تحتمل كل هذا الجنوح؟

**

تتلبسه الروح السوداء.. والأسود يغلِّف الجو بستار حديد.. يشتاق الولد للرمادي وقت أن كانت الأشياء مستترة.. وقت أن كان الألم أخف ويمكن احتماله بالقليل من المسكنات والمواد المخدرة.

كان هناك زمن لا يزال يذكره.. كانت فيه المسكنات تسكِّن فعلا، والأدوية لا تزال تحتفظ بشرف المفعول.

ألم رهيب يجتاح جسده الهزيل.. ليس جسده إلا من أنوروكسيا وفقد وجنوح للدماغ إلى حدود اللا معقول.

fb/mashro3pdf

ينقلب جسده عليه، فينقلب هو على جسده. تقول له موني: هل جربت محاربة الألم باجترار المزيد منه؟ هل جربت علاج الصداع بدقِّ رأسك على الحائط؟ ها؟

هل جربت الخلاص بالصعود على خشبة الصلب؟

أو بتناول عشاء خفيف مع واجهة قطار سريع يسري على حافة العالم؟

هل جربت الحلول النهائية للمشكلات؟ الحلول الفاعلة بحق والتي نحاول يائسين غض النظر عن اعتبارها، أو التظاهر بعدم وجودها من الأساس؟

**

أكتب إليك كتابة بدمي

فإذا قرأت فلا تقرب

وإذا قربت فلا تفعل

وإذا فعلت فلا تندم.

.....

يفقد اليوم البوصلة الحرارية لجسده.. نصفه الأعلى يرتعد من البرد ونصفه السفلي جمر على مبخرة كاهن عجوز. وهكذا بالتبادل.

fb/mashro3pdf

يغرق في بحيرة من عرق، حتى إذا ضرب البرد العرق جمدت البحيرة، وإذا ضربت النار أسالتها من جديد.. كبركان ضائع تحت حيز البحر.

يدخل في وصلة من العتاب المر. عن الفاعلين والآثمة قلوبهم.. عن نفسه.. أهله.. يسرا.. وعن أصدقائه الذين تركوه وحيدا من زمان.

يتعجَّب من امتلاكه لكل هذه الطاقة التي تكفلت بتحويل جسده إلى باطن شمس يضربها كل ثانية ألف مليون انفجار نووي.. ينهكها الفقد حتى تقوى وينبض عمرها بالشباب.. يزيدها الوجع انفجارا ويزيدها الانفجار وجعا وقسوة وطاقة نار وتدمير تجزر منها النور إلى سائر الوجود.

وهي قمر وأرض ميعاد.. وهي باطن شمس بعثت بالدفء إلى جسده.

وأميرة انقلاب شيوعي ناعم على قيم جمهورية من الملل.

مرة أخرى.. من فعل ذلك فيك؟

أهو الوهم أو المس أو نفسك أو مشروعك الخاص أنت وهي..

يسرا: تجربتك السرية.. كائنك الرقيق.. مغامرتك البعيدة.. بعدك الرابع.. ثابت معادلة روحك فلما تغير كسرت روحك وانهارت أبعادك.. شمس صباحك.. ضحكة لياليك الطويلة

fb/mashro3pdf

وجنونها وسواد سمائها.. طلة النسيم على وجهك.. مقام غيابك.. ما حرف من اختبارك.. ذائقة ألمك.. خائنة عينك وما تخفي في صدرك.

.....

إحساس الحرقة تحت جلدك يسري.. تشعر بأن ذلك في البداية مثير.. دغدغة الذكرى لخلاياك.. ولوج النوستالجيا عند أول باب قلبك.. أثر استناد النظارة على أنفك.. تشوُّش الرؤية الخفيف في عينك عندما تراها أول كل مرة.. لسعة سيجارتك في يدها بالخطأ.. مص يدها لتخفيف ألم اللسعة وتأخير دورة الدم حولها.

لعق كل أصابعها واحدا تلو الآخر.. كل أصابعها العشرة مغموسة من سائل وعيك. ما ولج منها في قلبك وبقي هناك ساعة بعد ساعة..

تشعر بأن ذلك في الوسط مثير..

ورمح نار من سحرها يدق على رأسك.. يخترق رأسك.. يسممها.. يلجها ببطء.. يسلبك مقاومتك في سحلة وجودية ما حتى تخور.. يصرع طولك فتسقط.

الموسيقى بتصرخ في ودنك..

ويتمثل أمامك من بعيد طيف مولانا التوني - بجسده الأسمر النحيف وجلبابه الصعيدي الأبيض - وهو يمسك بيده

fb/mashro3pdf

مسبحته ضاربا بها على كوب زجاج يحمله باليد الأخرى، وصوته الرخيم بيصدح في ربوع الأرض:

ناديت ياللي تداوا الناس داووني

هاتوا دوايا من حبيبي وداووني..

ياااا ياا يا حبيبي

خضر العمايم وأنا نايم ندهوني.. أهل الكرم في الحرم نديتهم جوني

قالوا نعدك معانا يا شاطر.. قلت عدوني

أنا أشرط عليكم في بحر الخوف تعدوني

عدوني

..

**

تستند بظهرك على الحائط.. وتتحسس حد الموسى بيدك فتجرح إبهامك بالخطأ حتى ينسال الدم منه.. يخرج إليك باندفاع الثائر السائل:

يوسف.. ما الذي فعل ذلك فيك؟

ولما لا تجيبه.. يلم كرباته الحزينة ويرحل عنك بصمت بين ممرات البلاط.

fb/mashro3pdf

ولما يرحل عن وجهك، تحاول استبقاءه إلى جوارك.. عبثا تحاول حجز دمك إلى جوارك تقول له: خليك، هكمل إزاي بدونك يا صاحبي!

لكن صاحبك الوردي - القاني الوردية - ينفض عنك.. فتثور وتقطع بحد الموسى ذراعك بالطول، تفعل ذلك بمهارة طبيب عليم، من نصف كوعك إلى يدك مجروح..

يسيل دمك أكثر مسترقا النظر إلى عاقبة جنونك مستغربا فداحة المحنة وعودها باستمرار ممل.

دمك يكلله السأم.. يؤخِّر اندفاعه البطء.. يحكم جريانه الضغط.. تُسكِر لزوجته البنت، وتُسكر البنت لزوجة الوجود كله.

دمك يسيل سكره سأما من مرارة الاستمرار في الانسكاب على الأرض بلا معنى.

دمك يقول: شكرا

لأنك حررتني من الألم في داخلك.

لأنك حاولت استبقائي إلى جوارك وليس في داخلك.

لأنك خففت عني مرارة معادلة القيم الكبيرة وسحبتني من متاهات التفكير.

لأنك أذقتني طعم الحب والفقد والتفاصيل..

fb/mashro3pdf

دمك يقول: كلنا سنتجرَّع الموت يا يوسف

وستموت أيضا التي أحببتها حتى الموت

ولن يبكيها أحد عشر ما بكيتها

.. بدمك.

ويرحل.

****

fb/mashro3pdf

مصادر:

- ويكيبيديا.
- المصطنع والاصطناع لجان بودريار.
- المزامير لداود.
- أخرى..

أثقلت عليَّ كتابة هذه النصوص كثيرا، وفكرت مرات في التوقُّف عن استكمالها.. لولا الوعد الذي قطعته يوما ما..

الكاتب

fb/mashro3pdf

يسرا كانت ترقص،
وخصرها يصرخ على حجرى وصوتها يهمس فى أذني:
تذكرنى يا حبيبي
أنا كنت هنا .. ورقصت عند حافة قدميك.. رقصت على موالك المفضل.
تمنيت أن أعجبك كما كنت تعجبنى. وأن أثير انتباهك إلى الأبد.
وحركت يدي على مفرق صدري، هكذا.. حتى لا تفقد شغفك.
وشعري أسدلته على وجهى كالليل.. وكبنات الكورد والغجر.
أنا كنت هنا.. كل ما فعلته، فعلته من أجلك، حتى ترضى.
لقد شغفت بك حبًا، فلا تنسى.

9789777512862

fb/mashro3pdf